مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 31، جوان 2022، ص - ص: 219 – 256
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

التمكين في الأرض في زمن الكورونا من خلال القرآن الكريم: دراسة موضوعية
Empowerment on Earth in the Time of Corona through the Holy Qur'an: An Objective Study

د/ محمد لفرم
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، فاس المغرب
mh.lafram@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2022/02/28

الملخص:
إن المسلمين يتوقون لتحقق التمكين في الأرض الموعود لهم، غير أنهم لا يبذلون لتحقيق ذلك أي مجهود فكري أو جسدي، إذ يطمعون في تحقق الوعد تلقائيا. ولكن الحقيقة التاريخية تؤكد أن الوعد لا يصطدم بالحق، فالتمكين الموعود مشروط بتوفر مقدمات تقود إليه، وفي غياب هذه الشروط فإن الوعد سيتأخر من أجل التحقق، دون أن يعني التأخر في الزمان تأخر في القدر. وإن بعض الظروف تيسر تحقق بعض الوعود متى توفرت العزيمة لاستثمارها. والمسلمون يعيشون اليوم ظروفا مع شيوع مرض الكورونا في العالم، فإن إمكانية تحقق الوعد تزيد فرصها لو عمل المسلمون على تطوير وتنمية أفكارهم وتحويلها إلى تصرفات تطبيقية للخروج من التخلف الذي يعيشونه. وتحقق التمكين في التاريخ يعطي أملا في تحقق الوعد لهذه الأمة، مع قرن التحقق بتوفر الشروط التي تؤهل إليه. وتناول الموضوع تم في خطوتين: الأولى: نظرية، اعتنت بتأصيل مختصر للوضع الوبائي الحالي، وتبيان مدى تأثيره في جميع الوقائع، وخصوصا الواقع الإسلامي، وثقافة أفراد مجتمعاته؛ والثانية: تطبيقية، وانشغلت بتفصيل هذا الواقع، وعرضه على مضامين القرآن الكريم للوقوف على تصويره لفعلي التمكين والاستخلاف؛ مما يسعف في التمكن من ختم يكون في مقدوره الربط بين معايير تقويم هذا الواقع والوقوف على المؤشرات التي تعكسه، ويبين نظرية القرآن في التمكين؛ ثم الوصول إلى تسطير توصيات قمينة بالتوجيه الدقيق لكيفية الرجوع إلى الله من خلال العودة إلى هدايات القرآن رجوعا سليما، وتبيُّن إرشاداته في إصلاح الفرد والجماعة والمجتمع، ونقل المسلمين من موقع التبعية والخذلان إلى رتبة الفكاك والتحرر، بل التميز والإنتاج.
الكلمات المفتاحية: التمكين في الأرض؛ عصر الكورونا؛ واقع المسلمين؛ النظرية القرآنية الموضوعية.

Abstract:
Muslims yearn to achieve empowerment in the land promised to them, but they do not make any intellectual or physical effort to achieve this, as they aspire to fulfill the promise automatically. But the historical fact confirms that the promise does not clash with truth, so the promised empowerment is conditional on the availability of introductions that lead to it, and in the absence of these conditions, the promise will be delayed in order to fulfill it, without the delay in time being a delay in fate. And that some circumstances facilitate the fulfillment of some promises once there is the will to invest them.

And Muslims are living conditions today with the spread of Corona disease in the world, the possibility of fulfilling the promise increases the chances if Muslims work to develop and develop their ideas and turn them into practical actions to get out of the backwardness they live

in. And the achievement of empowerment in history gives hope for the fulfillment of the promise of this nation, with the century of verification that the conditions that qualify it are met. The subject was dealt with in two steps: the first: a theory, which took care of a brief rooting of the current epidemiological situation, and to show the extent of its impact on all facts, especially the Islamic reality, and the culture of members of its communities; The second: applied, and I was preoccupied with detailing this reality, and presenting it to the contents of the Holy Qur'an in order to find out its portrayal of the two actions of empowerment and succession; This helps in being able to conclude a conclusion that will be able to link between the criteria for evaluating this reality and identifying the indicators that reflect it, and with the theory of the Qur'an in empowerment; Then he arrives at underlining the recommendations of Kina with accurate guidance on how to return to God by returning to the gifts of the Qur'an in a sound way, and showing its instructions in reforming the individual, the group and society, and the transfer of Muslims from the position of dependence and betrayal to the rank of freedom and liberation, rather excellence and production..

Key words: Empowerment on Earth; Coronavirus Era; The reality of Muslims; objective Quranic theory.

مقدّمة:

تمهيد: لقد استطاع الإنسان، مع مرور الزمان، أن يحقق لنفسه تيسير المعيشة فوق هذه الأرض، ويضمن، بفضل تطوره التقني والعلمي والمعرفي، شروط التعافي والقدرة على محاربة الأمراض، فتمكن بذلك أن يطيل عمره، وأن يحافظ على نسله. لكنه أغفل قدرة الله تعالى، كما أغفل احتياجه لهذه القدرة لكي تبقيه محفوظا، وتَطَاول عليها، حتى صار 'العلم'، اليوم، يقول قولة فرعون ويدعي الألوهية.

إشكال الدراسة: إن خالق الكون وضع له نظاما يضبطه باطراد لا يتغير إلا بتدخل منه تعالى، وضمن هذا النظام كانت سنة التمكين للإنسان في هذا العالم، فكان الوعد بالتمكين في الأرض للفئة التي أسلمت لرب العالمين؛ لكن هذا الوعد لم يتحقق بعد في عمر الأمة المسلمة في القرن الحديث الذي نعيش لحظاته في ضيق، وتخلف، تزداد شدته مع توالي الأيام، فهل التمكين تخلَّفَ وعده أم تخلفت شروطه؟ وهل هذا التخلف ناتج عن عدم فهمِ سنن تحققه؟ وهل وقوع العالم الإسلامي، ومعه كل العالم، في زمن وباء ضيَّق الأرض على النفوس، ولم يعد بمقدور أحد، مهما كان غِناه أن يفر من أرض لأخرى، كفيل بأن يدفعه للعودة إلى ربه يستمد من العون والقوة حتى يمكِّنه من الكون من جديد؟ وهل سيستطيع المسلم أن يستثمر ظروف هذا الوباء من أجل الاعتماد على نفسه لينتج احتياجاته ويتمكن من تعميم فكره وحضارته وثقافته ومنتجاته على العالم؟ وهل سيحقق وعد الله له بالتمكين في الأرض؟

اختيار عنوانها: إن اختيار عنوان لأي دراسة أو مقالة، أو أي موضوع، ليس بالسهل قطعا؛ بل هو مخاض طويل جدا من التفكير قبل إنجاز الموضوع، بل وحتى أثناء ذلك وبعده. بل إنه يأخذا وقتا مهما، قد يجعل صاحبه يتردد بين عديد من العبارات التي قد يراها مناسبة، ولكنه يفترض اعتراضات من هنا أو هناك. وعلى هذا الأساس فقد اقترح الباحث لهذه الدراسة عنوانا كان هذا وسمه: **"إمكانية تحقق التمكين في الأرض في زمن الكورونا"**؛ وكان هذا العنوان مُشرَعا لمختلف الاحتمالات التي تؤهل للتمكين في الأرض، من جهة أولى؛ كما أنه كان عنوانا يشي بإمكانية الحدوث، قبل افتراض الحديث عن شروط التحقق، من جهة ثانية، أي أن صاحب الدراسة لم ينطلق كما انطلق العديدون في تناول هذا الموضوع من مسلمات تتمثل

في شروط يجب توفرها قبل الوقوع؛ بل الموضوع افترض أن زمن الكورونا فرصة مواتية لحدوث 'التذكر' والعودة إلى الله، ولو أن هذه العودة كانت بدافع قوي تمثل في حدوث جائحة لم يسبق أن عرف مثلها العالم، إذ لم يعد بإمكان أحد أن يفر إلى أي مكان. ومن ثمة، حاول الباحث أن يترك الموضوع مشرعا. لكنه بعد التعامل مع الموضوع تبين أن الدراسة انطلقت من النص القرآني لتصل إلى مضمون هذا النص، لكنها رغم ذلك جعلت النص القرآني حكما على الواقع ولم تجعل الواقع حَكَماً على القرآن. كما أن الدراسة رامت النظر إلى هذا النص القرآني نظرة 'موضوعية'، أي أن تتبنى تفسيرا موضوعيا، وذلك بجعل النص القرآني أكثر قربا من الأفهام، وهو منهج لربط الفهم بالتفهيم. كما أن الباحث ربط التمكين في الأرض بمدلول القرآن، حصرا له من أي فهم يجعل التمكين في مدلوله العام، لذا كان من المناسب قبول العنوان الذي تم وسم الدراسة به.

أهدافها:

1- الكشف عن حقيقة الدلالة الاصطلاحية القرآنية لمفهوم التمكين.

2- إبراز قيام التمكين على القوة الإيمانية قبل القوة الجسدية.

3- الإسهام في تبيين أن التمكين للأمة الإسلامية ممكن أبدا.

أهمية مجالها: إن هذا الزمن، زمن الكورونا، يتيح فرصة للحديث عن إمكانية تحقق وعد القرآن الكريم للأمة المؤمنة بالتمكين في الأرض، دون أن يعني ذلك تسلطها على الآخرين ولا الاعتداء عليهم، بل إنها فترة ذهبية، أثبتت أن الفرد المسلم قادر على الإبداع في كل المجالات، وخصوصا في مجال الصناعة العلاجية، وقدرته على العمل المتواصل والتعاون من أجل تحسين الوضعية الغذائية، وخصوصيةُ هذا 'الزمن' أنه يقلل من المؤامرات الداخلية والخارجية ضد هذه الأمة، فكل الدول منشغلة بنفسها. وكشف هذا الفيروس، البلاء، حقيقة كل الدول، وفضح العديد منها. فراهنية الموضوع حاضرة، وبقوة، وفرصة تمكين الله للأمة الإسلامية مواتية، فهل من منتبه ومجيب؟ وهل من آذان منصتة، وقلوب شاهدة؟

منهجها: إنه ليس من الممكن الاستفراد بمنهج وحيد وواحد لبناء دراسة فاعلة، بل من الضروري المزج بين جملة من المناهج حتى يكون بالمقدرة الخروج بتصور متكامل، في إطار التداخل المعرفي والمنهجي والعلمي. ونظرا لأهمية الموضوع، وراهنيته، والحاجة للخروج بتصور مناسب للواقع المعيش، فإنه تم الاستنجاد بالمناهج التالية، وإن بنسب متفاوتة، للخلوص لعمل متجانس، وموضوعي، كفيل بعرض تصور يسعف في المساعدة لبلوغ وعي وإدراك بالنظرية القرآنية في البناء للفرد والجماعة والمجتمع، وإصلاح الواقع:

1- **المنهج التفكيكي**: وهو منهج يعتمد على عملية تفكيك النصوص من خلال قراءتها، وتأمل الطريقة التي يتم من خلالها إنتاج معانيها ومدلولاتها[1]. وما أكثر النصوص القرآنية التي تعرضت لموضوع التمكين. والتفكيكُ لن يقودنا للمعاني التي وردت بذهنية جاك دريدا، بل إن النص القرآني يكشف ذاته بنفسه لمن يقرأه بقلب سليم، فلا تناقض فيه.

2- **المنهج التحليلي**: وهو منهج أسعف في قراءة المفاهيم والمصطلحات التي اعتمدتها الدراسة، كما يسر في الوصول إلى أفضل حلول ممكنة للمشكلة موضوع الدراسة، بالاعتماد على التفكيك، حيث تم النظر في الواقع، وتفكيك بنياته، واستعراض النصوص المناسبة لمعالجة ضعفه وسد ثغراته، ثم إعادة التركيب لهذا الواقع بما لا يتعارض مع النصوص الشرعية، ثم تقويم هذا الواقع وفق معطيات محددة، ومعايير

شرعية ثابتة. وهو منهج يناسب العلوم الشرعية، ويقوم، كما تَبين، على: 1- التفسير، و2- النقد، و3- الاستنباط، مما يوحي بتداخل هذه المناهج في تناول هذا الموضوع.

3- **المنهج الاستنباطي**: وهو منهج أسعف في استنباط شروط التمكين، من خلال تحليل مضامين النصوص القرآنية الشريفة، وتبيان مدى قرب هذا الواقع منها أو بعده.

4- **المنهج الاستقرائي**: وهو المنهج الذي أسهم في تجميع النصوص القرآنية المناسبة للتمكين وكذا لتحقيق الاستخلاف الإيجابي وأخيرا العمل من أجل تفعيل فكر الإصلاح وليس مجرد الصلاح الذاتي الذي قد يعتريه الضعف، وما يتطلبه الوضع لتصحيح المسير والمسار حتى يؤهل الفرد والمجتمع لتحقيق التمكين في الأرض.

5- **المنهج التاريخي**: وهو قد ساعد في ضرب بعض المثل من الواقع، على مر التاريخ، للقدرة على تحقيق التمكين متى توفرت شروطه، ووجد أصحابه.

6- **المنهج النقدي**: وهو ما ورد في العديد من خطوات الدراسة، حيث تم نقد الواقع، بعيدا عن الهدم والنقض، بل الغاية من النقد هي التقويم بغية التعديل والتصحيح. وهو ما أعان في رسم الصورة المقربة والممكنة للفرد والجيل المفقود والمنتظر لتحقيق وعد الله الذي لا يتخلف.

كل هذه المناهج المتضافرة والمتكاملة والمتداخلة اجتمعت، كل في موطنه المناسب له، من أجل الإسهام في استنباط النظرية القرآنية بمنظار كلي يسد جانبا يكمله باحثون آخرون، تلك النظرية المؤهلة للأفراد للكشف عن قدراتهم الغائبة أو المغيبة، التي منحها الله لهم لتصحيح أي انحراف، مهما اشتد.

فرضياتها:

1- استثمار زمن الكورونا في الرجوع إلى الله كفيل بتقصير فترة انتظار التمكين في الأرض.

2- الالتزام بشروط التمكين التي استعرضها القرآن يسهم في تحقيق التمكين في الأرض.

الدراسات الموضوعية السابقة:

لم يقف الباحث، بحسب بحثه وإمكاناته، على بحث يحمل نفس الهدف والمقصد، ولا نفس المضمون، حيث إن ربط تحقق التمكين بزمن قضية لها أهميتها، خصوصا زمن الجوائح والكوارث والمجاعات، إذ هي أدعى لعودة الناس لربهم، والاستمساك بشريعته. لكن الأبحاث التي تعرضت لتحقق التمكين في الأرض وفق شروط القرآن لا تخلو من أهمية تساعد في بناء هذا التصور لتحقيق مشروع التمكين في مختلف تجلياته؛ بل إن مصطلح التمكين لا يفتأ تتوسع مضامينه[2]، وتتعدد مظاهره[3]، وتتنوع أهدافه[4]. ومن أهم ما تبدو مناسبته وإمكانية تتميم ما سبق من المشروع ما يرد من أبحاث ودراسات:

1- الطالب عمر لطفي الجزار: فقه التمكين وأثره في تطبيق الأحكام الشرعية، إشراف الدكتور مازن إسماعيل هنية، بحث لنيل الماجستير في الفقه المقارن بالجامعة الإسلامية بغزة،1432هـ- 2011م. وقد حاول الإجابة على جملة من الأسئلة: ما هي الطريق للوصول إلى التمكين؟ ما هي أسبابه؟ وما أركانه؟ وما معوقاته؟ كيف سيتم تطبيق الشريعة بعد هذا الانقطاع الذي قارب على القرن؟ وهل التدرج في التطبيق مشروع أم لا؟ هل يوجد ضوابط للتطبيق أم لا؟ كل هذه الأسئلة هي بحاجة إلى إجابات شافية. ولم يشذ عن غيره، حيث اعتبر أن الموضوع ذي صلة بالسياسة الشرعية، أي أن التمكين لن يكون ممكنا إلا في حال السيطرة السياسية على البلاد.

2- الطالب الباحث محمد أحمد محمد زعرب: أسباب النصر والتمكين للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (388-421هـ-998-1030م)، إشراف الدكتور إبراهيم أحمد أبو شبيكة، لنيل

الماجستير في التاريخ الإسلامي، بكلية الآداب، بالجامعة الإسلامية بغزة، 1440هـ، 2018م. وقد حاول الباحث عرض نموذج من الواقع لحدوث نتيجة التمكين. ويبقى التمظهر السياسي حاضرا في مختلف هذه الدراسات، وكأن التمكين لا يستقيم، ولا يتأسس إلا تحت الحكم السياسي والسيطرة السياسية، ولا يبدأ بغيره من المجالات، ويكون الفعل السياسي تابعا لا أصلا.

3- الطالب الباحث إياد أحمد عبد العزيز مغاري: عوامل النصر والتمكين للدولة المملوكية في عهد أسرة المنصور قلاوون (678-783هـ-1279-1382م)، إشراف الدكتور غسان محمود وشاح، بحث لنيل الماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بالجامعة الإسلامية بغزة، 1439هـ، 2018م.

4- عبد الله محمد الأمين النعيم: التمكين الحضاري في المنظور القرآني دراسة معرفية (ابستمولوجية)، وأصل الكتاب دراسة جامعية، دار إسلامية المعرفة، الطبعة الأولى، 2004هـ، مستعرضا لمفاهيم التمكين، والحضارة، وأسباب التمكين، وأهدافه.

وقد تم تقديم الأبحاث التي تخضع للتقويم العلمي، باعتبارها مجهودا يتطلب مزيدا من الحرص، على الكتب المؤلفة التي تخضع لإرادة مؤلفها وقناعاته، ومن بين الكتب القريبة من مجال هذه الدراسة:

1- الدكتور عبد الحي الفرماوي: المسلمون بين الأزمة والنهضة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بدون تاريخ, تناول قضية التمكين، وفق الأسلوب الدعوي.

2- الدكتور رمضان خميس زكي الغريب: مراحل التمكين، دراسة قرآنية، بحث تعرض فيه صاحبه لمراحل التمكين من خلال القرآن الكريم.

قيمتها المضافة: ذهب علي الصلابي للقول بأن القرآن تحدث عن التمكين: "وأشار القرآن الكريم إلى مراحل التمكين في قصة بني إسرائيل من زمن موسى عليه السلام إلى العصر الذهبي في زمن داود وسليمان عليهما السلام"[5]، غير أنه بإعادة النظر إلى مضامين الآيات يتبين أن التمكين لم يكن كما هي معاني التمكين التي سعى لتحققها في الأمة الإسلامية، إذ كان ذلك التمكين بغلبة القوة والسلطان. فكيف يتم الحديث عن تمكين لسلطة تعتمد على قوة الجن والشياطين وقوى لا قِبل لأحد بها في العالم لا من قبل ولا من بعد، ولكن التمكين الذي تجسد في الأرض هو التمكين الوحيد الذي تحدث عنه كل تاريخ العالم، يوم أن ساد الإسلام العالم بدون قهر. مما استدعى الوقوف عند هذا المفهوم وتحقيق دلالته بما يتطابق مع غاية القرآن من استعراضه وتفسيره ووضع ركيزة شروطه وضوابطه، متى علمنا أن فرصته اليوم، في زمن الكورونا، مواتية وفريدة وليس من السهل تكررها، لتقوم الأمة وتنفض عنها أمارات النوم، وتنتفض، إذ من الممكن اليوم أن نعمل، جماعة، ونتضافر لننتج دواءنا وغذاءنا وآليات حماية أنفسنا، ولن يمنعنا أحد، فالكل منشغل بنفسه، وبهمه، فلنغتنم الفرصة، أو لنعد للنوم، في انتظار سنين أخرى.

تحديد المصطلحات المركزية والفرعية:

إن الوعي بمفهوم التمكين ينطلق من فهم 'سنة التمكين'، إذ هي ضمن السنن الكونية التي لا تتخلف أبدا، وهذا، بالتبع، يتطلب الوعي بمفهوم 'السنن الكونية'، خصوصا، متى تيَقَّنَّا أن القرآن الكريم أثار هذه السنن في العديد من المواطن، وإثارتها تجلت في تنبيه المتلقين، عبر مختلف الأزمنة، وفي مختلف الأمكنة، إلى أن يستفيدوا من العبر التي يعرضها عليهم، حتى لا يكونوا هم عبرة لمن بعدهم: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (107) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ (108) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ

رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ (109) حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾[يوسف][6].

تحمل الآيات محتويات لا تنتهي مع مرور الأزمان، لكن أهم درس لا بد أن يتم استحضاره: "لا يجوز استعجال النصر، فمن سنن الله الابتلاء"[7]، إذ العمل الفعلي والصادق يقتضي انتظار النصر، ولكن المنهي عنه استعجال هذا النصر، والاستعجال يفيد ضمن ما يفيده، اليأس والتخاذل والتراجع إلى الوراء، حتى إذا استيأس الرسل، وبلغوا، هم ومن معهم قمة القنوط، وحتى في أضيق الظروف وأخطرها، فلا بد من الصبر.

والوعي بالسَّنن الكوني يتطلب من كل باحث في مجاله محاولة الانتقال من المفهوم الضيق الذي يختزل كل ظاهرة في مكانها أو زمانها، إلى دلالة مفهومية ترتبط بالصورة الكونية التي يرسمها القرآن الكريم، ويطلب من المتلقين له أن ينظروا إليه في كليته وشموليته؛ وهذا لا يتأتى إلا بحسن التلقي لهذا القرآن، حيث ارتبط مفهوم السنن بالتصرف الإلهي المشرف بنفسه تعالى على تحقق هذه السنن، عمليا، عبر التاريخ الطويل للكون: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (62)﴾[الأحزاب].

التمكين:

1- **التمكين لغة**: مصدر الفعل (مَكَّن)؛ ومنه تمكّن فلان من الشيء؛ وفلان لا (يُمْكِنه) النهوض، أي لا يقدر عليه[8]. ومن التمكين المَكِنَة، تقول العرب: إن بني فلان لذو مَكِنة من السلطان أي تمكَّن[9]. والمكانة عند العرب هي المنزلة عند الملك، والجمع مكانات، لا يجمع جمع تكسير، وقد مَكُن مَكانةً فهو مَكين، والجمع مُكنَاء, ونُمكّن تمكُّنا. ومنه: السلطان والمُلك.

2- **التمكين اصطلاحا**: فإذا كان التمكين لغة تفعيلا من المكان، وفي الأصل إقرار الشيء وتثبيته في مكان، ثم استعير لدلاله على التملك والقدرة والسيطرة والتحكم؛ فاصطلاحا هو مظهر من مظاهر الفعل الإلهي المطلق يتيح للفعل الإنساني إمكانية تحقيق غاياته المتعددة، في حال تقيُّده بالفعل الإلهي المطلق تكوينيا (بالالتزام بالسنن الإلهية التي تضبط حركه الوجود)، وتكليفيا (بالالتزام بقيم وقواعد الوحي)[10].

3- **التمكين إجرائيا**: 'سيادة الدولة المسلمة سيادة كلية على ربوعها، وسياسة أفرادها بالعدل، مع القدرة على حماية نفسها وأفرادها بكل إمكانية، وإشاعة الالتزام بالشريعة الإلهية، وحرصها على تطبيقها بين أفرادها، بكل توجيه مستمر، وتمكنها من توفير حاجيات أفرادها دون تمييز'.

ولقد تبين من البحث أن مصطلح التمكين بدأ يتخذ له معاني متعددة في ارتباط بالمجال الذي يتم البحث فيه مما أوجب التنبيه أن الدلالة التداولية المقصودة في هذه الدراسة هي تلك الدلالة التي ارتبطت بالمفهوم المستنبط من القرآن الكريم، ولئن احتوت ضمنها عديد من الدلالات، ولكنها هي المقصودة دون غيرها، ولذا وجب التنبيه.

والأمر يتطلب دراسة مختلف أنواع التمكين، مع تحديد أصله، وتجلية الركيزة التي يتفرع منها، والاهتمام بالشروط التي يقوم عليها، ومراعاة الأسباب التي تسمح بحصوله أو تمنع من تحققه، وضبط المراحل الزمنية التي يمكن قطعها للوصول إليه، وتسطير الأهداف[11] التي يقصدها، والتخطيط الدقيق لتحديد السبيل لتنفيذها وتحقيقها، وتجسيدُها يفيد تحصُّله، كما يستوجب الوعي بكل، أو بأخطر، المعوقات التي تحول دون تحققه أو تعرقل مسيرته وتعطل حصوله، مع الوقوف على سائر، أو أهم، المقومات التي يتأسس عليها، بغية تحصيل وتحقيق الشهود الحضاري الذي من أجله كانت هذه الأمة أساسا.

الأرض: كل الأرض دون تخصيص بقعة بعينها. وقد ذكرت في القرآن كثيرا، وبدلالات متعددة، فتارة يكون معناها الكرة الأرضية المعهودة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)﴾ [البقرة]؛ وتأتي بدلالات خاصة، مثل: بقعة جغرافية معلومة للمخاطبين: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81)﴾ [الأنبياء]؛ ويقصد الباحث بها كل بقعة، اتسعت حتى تشمل كل أرض، أو ضاقت حتى تكون أرض بلاد من البلاد الإسلامية.

زمن: (زَمِنَ) الزَّاءُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى وَقْتٍ مِنَ الْوَقْتِ. مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَهُوَ الْحِينُ، قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ. يُقَالُ زَمَانٌ وَزَمَنٌ، وَالْجَمْعُ أَزْمَانٌ وَأَزْمِنَةٌ[12]. ودلالة الزمن المقصود تمتد من تاريخ ظهور البلاء حتى يرفعه الله تعالى، فهو الأعلم به وبدوره وبقدراته.

الكورونا: ابتداء من شهر دجنبر (كانون الأول) 2019م وإلى ما بعدها، لم يعد أحد في العالم كله لا يعرف هذه التسمية، بل صارت تاريخا سيذكره الناس، وسيربطون بها كثيرا من أحداثهم الخاصة، إنه الوباء الذي حول العالم كله من كيانات حرة إلى كيانات مسجونة، بإرادتها، لا تستطيع التحرك بتلك الحرية المعهودة، ولم يعد بإمكان الأغنياء أن يهربوا من بلد إلى بلد احتماء به وحماية لأموالهم.

وهذا الفيروس هو أحد أمرين:

1- إما أنه مصنوع داخل مختبرات، حيث كان الحديث عن انتهاء دور القنابل النووية، ليحل محلها القنابل الهيدروجينية، والقنابل الميكروبية والفيروسية؛ وفيه احتمالات:

1.1- خارج من مختبر دراسات بيولوجية بالعمد: وذلك بإشاعته بين الناس للوقوف على مدى قدرته على الفتك، ومعرفة كيفية التعامل معه، ومعرفة مدى قدرته على التنقل بين الفئة المستهدفة، وعليه، فمتى تبينت تلك الفرضية على أنها حقيقة، فلا بد من محاسبة تلك الجهة على فعلتها، وأن تعوض الناس على مفقوداتهم.

1.2- خارج من مختبر بالخطأ، كأن ينتقل لأحد العاملين به، دون علم به، وشاع بين الناس والدول.

2- أو هو من تدبير الله تعالى: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: "غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ"[13]؛ وفي حديث آخر قَالَ: "فَإِنَّ فِي السَّنَةِ يَوْمًا يَنْزِلُ فِيهِ وَبَاءٌ"، وَزَادَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: قَالَ اللَّيْثُ: فَالْأَعَاجِمُ عِنْدَنَا يَتَّقُونَ ذَلِكَ فِي كَانُونَ الْأَوَّلِ (دجنبر)[14].

وعنه أيضا: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان جنح الليل - أو أمسيتم- فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئا، وأطفئوا مصابيحكم"[15]. ونص الحديث وإن كان يثبت إذاية الشياطين لبني البشر، فهو لا ينفي وقوعها إلا بتوفر شروط. ولكن النص الأول يثبت وقوع البلايا في ليلة من ليالي السنة دون تحديد تلك الليلة ولا صفاتها مما يدعو للاحتراز طيلة السنة. الشيء المنصوص عليه بالتأكيد هو الالتجاء إلى الله والاحتماء بقدرته وقوته، إذ بدونها تكون الغلبة للقوى الخفية التي بمقدورها تصريف الأذى لمن تراه دون أن يتمكن من رؤيتها.

ففي هذه الحالة صار الأمر يتطلب الفرار إلى الله والاعتراف بأن الخطأ وتكراره وشيوعه وكثرته والإصرار عليه، سبب من أسباب حصول البلاءات: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)﴾ [الأنفال]؛ وحين يقع البلاء فإنه لن يميز بين الصالح من المفسد، إذ التحرز يكون قبل وقوعه. والفرار إلى الله لا محالة سيرفع البلاء: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50) وَلا تَجْعَلُوا

مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (51)﴾ [الذاريات]؛ وما الفرار إلى الله إلا توحيده من أي نوع من أنواع الشرك، ثم اتباع لأوامره[16].

واقع المسلمين: إن الواقع الذي تقصده الدراسة هو واقع يعيشه كل العالم متمثلا في جائحة فيروسية لم تخطئ وطنا/ متمثلة في جائحة فيروس كورونا. وهذا الواقع هو الذي يكشف لنا حقيقة الواقع الخاص بالبلاد الإسلامية، حيث يتبين الضعف الشديد في مختلف الميادين، الاقتصادي والمالي والسياسي والعسكري، وخصوصا الميدان الصحي. لكن هذا الواقع من الممكن أن يتحسن في ظل هذه الظروف، إذْ أمكن النظر المتكرر أن يكشف عن قدرات يمتلكها العالم الإسلامي في مجال الاكتشاف والاختراع بدا واضحا في عديد من التجارب التي مكّنت العديد من البلدان الإسلامية من التقليل من الحاجة إلى البلاد المتقدمة[17]. ولعل واقع زمن كورونا كشف عن إمكانية الرجوع إلى السلوكات المحبوبة التي يحث عليها الشارع الحكيم[18]، من تعاون وتكافل وتبادل المنافع، وإن بنسب متباينة ومتفاوتة، بحسب البلدان والمناطق. وقد تعامل المسلمون، عبر تاريخهم الطويل والمتنوع والمختلف، مع مختلف الجوائح وعديد الطواعين والأوبئة، بمهارات متنوعة بناء على مبدأ الحجر الصحي الذي سنه النبي ﷺ حين قال: "إذا سمعتم به في أرض[19]؛ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها؛ فلا تخرجوا فرارا منه"[20]؛ وهذا ما دعت إليه مختلف الدول بتوصية من منظمة الصحة العالمية. وقد كان لكل دولة مبادراتها الخاصة في التعامل مع الجائحة[21].

النظرية القرآنية الموضوعية: لقد احتوى القرآن الكريم على مضامين ومحتويات يمكن للناظر فيه أن يستشف 'نظريات' عديدة. ومن بين هذه النظريات الفريدة، التي أصبح الحديث حولها بما يكفي لبناء استراتيجية عملية للتعامل مع كتاب الله تعالى، ويمكن من خلالها الإسهام في تقريب كتاب الله تعالى، وتقريب معانيه ومضامينه للبشرية، واستثمار ذلك في توسيع دائرة الاهتمام بهذا الكتاب وتشريعاته وتوجيهاته، نجد النظرية القرآنية لإدارة الأزمات[22]، والنظرية الأخلاقية، وأهم ما يفيد من هذه الدراسة النظرية القرآنية الموضوعية، وهي في أخص ما ترتبط به النظر إلى القرآن نظرة تربط بين مضمون النص والواقع. وعندما نتحدث عن هذه النظرية فإننا نستحضر التفسير الموضوعي الذي: "يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة تعرض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة أو في موضع واحد، وذلك من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين... و'الموضوعية' بمعنى أن يبدأ في البحث من 'الموضوع'، الذي هو 'الواقع الخارجي' ويعود إلى 'القرآن الكريم' لمعرفة الموقف تجاه الموضوع الخارجي"[23]. فالناظر في القرآن الكريم نظرة موضوعية إنما يعلن أنه ينطلق في فهمه وتفهيمه من الواقع المعيش. وعندما نستحضر هذا النوع من التفسير، فإننا نقصد به تتبع دلالة موضوع أو مصطلح فرضه الواقع من خلال نصوص القرآن الكريم تواليا لندرك تطور هذه الدلالة لنتمكن من تكوين نظرة كلية حول الموضوع أو المصطلح.

بناء المفهوم المركزي وتأصيله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (54) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (57)﴾ [النور]، فهذه هي الآية المركزية أساس مصطلح التمكين

وموطن المفهوم. وورودها في هذا المكان هو بتقدير العليم، حيث جعلها في سورة وسمها باسم 'النور'[24]؛ فهي، وكل محتويات السورة، بمثابة نور للاهتداء بها: "فقد اشتملت السورة على كثير من إشعاعات النور، التي تمثلت بتشريع الأحكام والآداب والفضائل الأخلاقية، التي تعتبر قبسا من نور الله تعالى"[25]. ومن نورها يمكن إدراك محتواها الكلي والموضوعي المتمثل في أن تحصل التمكين يبتدئ من طاعة الله ورسوله بكل مضامينها، وحينها فإن أي محاولة لتكسير المجتمع المؤمن الصالح المصلح لن تفلح أبدا. فالتمكين وحفظ الممكَّنين وعد من الله، متى توفر فهو يفي بوعده، ووعده لا يتخلف؛ كما أن هذا التمكين الموعود مرتبط بالاستخلاف في الأرض، شريطة الاستعمار الإيجابي. ويذهب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور للقول: "ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا إيماء إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه مع ضمان التوفيق لهم والنجاح إن هم أخذوا بذلك، وأن ملاك ذلك هو طاعة الله ورسوله"[26].

دراسة تمهيدية لمفهوم التمكين: يذهب الباحث علي الصلابي إلى القول: "ولقد لاحظت في دراستي للقرآن الكريم أن أصول فقه التمكين واضحة المعالم في كتاب الله الكريم, فما على الباحث إلا أن يجمعها ويرتبها ويحللها ويبين أثرها على حياة الأمة عندما حرصت على تطبيقه في كل شئون حياتها، وماذا أصابها عندما ابتعدت عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، إن وصول الأمة الإسلامية في هذا الزمان إلى التمكين ليس بالأمر السهل، ولكنه كذلك ليس بالأمر المستحيل، إذ على الرغم من التضييق الشديد والحرب الضروس التي تشن على الإسلام والمسلمين، فإن كثيرًا من المسلمين يرون أن التمكين لدين الله قاب قوسين أو أدنى من ذلك، ومهما رأى الأعداء أن التمكين للإسلام بعيد يشبه المستحيل فإن المسلم واثق بوعد الله أن الأرض يرثها عباده الصالحون، وهذا ليس من باب الأحلام والتمنيات، ولكن من باب الثقة في الله تعالى، واليقين بوعده"[27]. وعلى الرغم من دقة التصور، يبدو أنه يخلط بين التمكين الفردي والتمكين الجماعي والتمكين للأمة، حيث يذهب إلى الاستشهاد بكون يوسف عليه السلام تم تمكينه في الأرض[28]، فهذا تمكين للفرد وليس للأمة ولا حتى للجماعة، وإن اعتبرنا أن يوسف عليه السلام قد أسس نواة جماعة حين أحضر عائلته إلى مصر. كما أن التمكين لسليمان عليه السلام لا يمكن اعتباره تمكينا حقيقيا مطابقا لما ورد في الآية المركزية. والنظر في الآية المركزية، التي وردت في سورة 'النور'، تتحدث عن مؤشر لا بد من التنبه له، أعلنت أن التمكين يمكن أن يكون لفئة ضمن المؤمنين: '**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ**'، فالوعد قد يكون للأمة كلها، وقد لا يكون إلا لفئة، وقد يكون لفرد واحد فقط. إلا أن ما تسعى الورقة لتيسير تحقيقه هو التمكين للأمة، دون إغفال أن يبدأ ذلك بالأفراد، ثم بالجماعات، ثم بالدول الإسلامية، ليتحقق التمكين في الأمة المسلمة.

القيمة المدار للتمكين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174) **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ** (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ (178) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ (179)﴾ [الأعراف][29]؛ فالتمكين يقوم على

قيمة جوهرية يغفل عنها كثير من الناس، وتتمثل في تحويل العلم إلى طاقة، للرقي بالعالِمِ والمتعلم والبلد كله، لا أن يتحول العلم لأداة للتكسب على حساب الكرامة الآدمية، ويتغير من مضمون لمضمون معاكس تحت الطلب. إن وعد الله لمن شاء من عباده بالتمكين انطلق في الأزل، في الاجتماع العام، حينما شهد آدم وذريته على ألوهية ربهم الذي خلقهم؛ وعطوفُه على الذي انسلخ من آياته إنما هو تذكير لهذا المخلوق أن الابتعاد عن الله يجعله في وضعية الانفراد فيستفرد به الشيطان والنفس فيضيع، خصوصا عندما يظن هذا المخلوق أنه استكفى بنفسه عن ربه.

التمكين في القرآن الكريم: إن النظر المتكرر في 'مواضيع القرآن الكريم' يكشف في كل مرة معنى جديدا ومضمونا متجددا. ومفهوم التمكين مفهوم يتجمع شتاته في مواطن كثيرة من هذا الكتاب الفريد، فتجده لفظا منطوقا كما تجده معنى مفهوما. وقد تنوعت مظاهر التعبير عنه بما يناسب مختلف الوضعيات، سواء وضعية المتلقي الأول، على عهد رسول الله ﷺ، أو وضعيات كافة المتلقين حسب تجدد الأزمنة وتنوع الأمكنة. وقد تشكل المعنى الأساس من خلال آيات جزئية بنت الكل الذي يستهدفه القرآن الكريم ويريد تحققه فهما وتنزيلا.

1- في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6)﴾، يقول الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي، الجاحدون نبوتكن كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون - وهم الأمم - الذين وطأت لهم البلاد والأرض توطئة لم أوطئها لكم وأعطيتهم فيها ما لم أعطكم، أعطيناهم ما لم نعطكم,... أمطرت السماء فأخرجت لهم الأشجار ثمارها وأعطتهم الأرض ريع نباتها وجابوا صخور جبالها, ودرت عليهم السماء بأمطارها, وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذني فغمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أبر بارئهم وبغوا حتى حق عليهم قولي, فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم، وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم، وأهلكت بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصيحة، وغير ذلك من أنواع العذاب"[30].

2- في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10)﴾. والتمكين هنا بمعناه العام، فالتمكين يتساوى فيه كل الناس: "هيأ الله سبحانه الأرض للناس بحيث يتمكنون من العيش فيها"[31].

3- في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)﴾.

4- وفي قوله تعالى: "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)".

5- وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾. إن هذه المواطن الثلاث، من سورة يوسف التي هي أيضا سورة الحب، والتوبة، وتحول الشر إلى خير، تكشف صورة حية لتصرف فيه نموذج حقيق للالتزام بالتوجيهات الإلهية تقود صاحبه في نقلة نوعية من مرتبة العبودية والسجن إلى مرتبة الحكم والتصرف في رقاب أمة والتصرف في مقدرات وطن، وما يحيط به من أوطان. "إذا ابتلى الله عبده فوجده صابرا، جعل الله له من بلائه مخرجا"[32].

6- وفي سورة الكهف مرتين, في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85)﴾.

7- وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95)﴾. وهذه السورة، التي كأنها وسط المصحف وسواره وواسطة عقده، فهي سورة الحلول لمختلف المشكلات، تشكل نسقا فريدا في طبيعة القصص القرآني من حيث المضمون: فهو قصص لا يتكرر نسيجه أبدا؛ كما أنها ترسم خطة متميزة في العرض، إذ تسرد ما تحصل عليه ذو القرنين من تمكين قبل أن تسرد ما التزم به من تصرفات دون أن تعرضها، بل تظهر فعلا منجزا: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88)﴾. والتمكين المتحصل عليه تجلى نتيجة العلم المنتج القائم على الوفاء لصاحبه المنعم به وشكره: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98)﴾.

8- وفي سورة الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (44) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)﴾. النص يكشف عن حقيقة تغيب عن الكثيرين تتمثل في أن الله هو الذي 'يدافع' عن المؤمنين وليس أن الذين آمنوا هم الذي يدافعون عن الله ودينه؛ إنما الذين يدافع الله عنهم هم الذين تحصلوا على التمكين الإلهي، غير أن النص القرآني يحكي أنه لدوام التمكين وجب الالتزام بالشريعة: "الهدف الأساس من نصر الله لعباده وتمكينهم في الأرض أن يقيموا شرع الله"[33].

9- وفي سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13)﴾.

10- وفي سورة النور: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (57)﴾.

وهذه الآية هي مركز الاعتماد في قضية التمكين، وجماع معانيها: "وهذه التكاليف التي جعلها الله قواما لصلاح أمور الأمة ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن صارت بترتيب تلك الموعدة عليها أسبابا لها. وكانت الموعدة كالمسبب عليها فشابهت من هذه الحالة خطاب الوضع، وجعل الإيمان عمودها وشرطا للخروج من عهدة التكليف بها وتوثيقا لحصول آثارها بأن جعله جالب رضاه وعنايته. فبه يتيسر للأمة تناول أسباب النجاح، وبه يحف اللطف الإلهي بالأمة في أطوار مزاولتها واستجلابها بحيث يدفع عنهم العراقيل والموانع، وربما حف بهم اللطف والعناية عند تقصيرهم في القيام بها. وعند تخليطهم الصلاح بالفساد فرفق بهم ولم يعجل لهم الشر وتلوم لهم في إنزال العقوبة"[34].

11- وفي سورة القصص: ﴿طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)﴾. ي هذه السورة تذكير عجيب بحقيقة العلم الذي يقود للنجاة لا العلم الذي يحول دون المرء والاعتقاد فيمن سهل ذلك العلم ويسر الحصول عليه: "والعلم الذي يعتز به قارون، ويحسب أنه بسببه وعن طريقه أوتي ذلك المال. ولكن الذين أوتوا العلم الصحيح من قومه لا تستخفهم خزائنه، ولا تستخفهم زينته بل يتطلعون إلى ثواب الله، ويعلمون أنه خير وأبقى"[35]، وبالعلم الباحث عن ما ينفع الناس، المرتبط بالله يكون المرء في اتجاه التحصل على التمكين.

12- وفي سورة الأحقاف: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26)﴾. إنه تمكين عام لكل الناس ابتلى الله به تلك الفئة هل تتمسك بشريعة ربها أم تهجرها، إذ في حال الانحراف عنها تتخلى عنهم رحمة الله.

13- وفي سورة المرسلات: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22)﴾.

15- وفي سورة التكوير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22)﴾، إنه تمكين فريد، وإن كان يحتفظ بنفس الدلالة: "ومكين معناه: له مكانة ورفعة، وقوله تعالى: مطاع ثم أمين أي مقبول القول مصدق بقوله مؤتمن على ما يرسل به، ويؤدي من وحي وامتثال أمر"[36].

وبتتبع هذه المواطن يتبين أن اللفظة المتعينة والمقصودة بالنظر والدراسة أن القرآن أوردها بصيغ متعددة جمعت بين صيغة الماضي (مكناهم)؛ وبصيغة المستقبل/المضارع (وليمكنن)، ليحيل على الفكر والنفس أن التمكين قابل للتحقق في كل وقت وحين؛ بل تجاوزت لذلك للتعبير بصيغة 'الصفة' (مكين)، أي أنه بالإمكان أن يصير التمكين صفة لازمة. وهذه الجزئيات الثلاث، هنا، تشكل الكل الذي مفاده التمكين المتجدد. وما يؤكد ذلك أنها متفرقة في القرآن كله.

والتمكين مصطلح قرآني أصيل، لكنه ضم إليه مرادفات تؤيده وتزيد من إمكانية اتساعه فيحتمي بمصطلحات أخرى تحفز النفس وتشجعها على توقع التمكين بين الفينة والأخرى حال توفر الأسباب والحد الممكن من الشروط. ومن هذه المصطلحات:

النصر: وقد وردت بكل الصيغ.

الغلبة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)﴾.
الفوز.

ومن المفاهيم ذات الارتباط الوثيق بمصطلح التمكين ورد مصطلح الاستخلاف؛ وهو الحمولة الكبرى التي من أجلها كان خلق الإنسان، غير أن الاستخلاف في مضمونه العام شائع، في حين أن التمكين حال طارئ، يظهر ويختفي بحسب استحقاق الأفراد والجماعات؛ وإذا كان الاستخلاف منحة، فالتمكين مكافأة.

ولا بأس هنا من فتح قوس لإلقاء نظرة لتتبع 'تطور' دلالة المصطلح القرآني الذي تعالجه الدراسة موضوعيا. لكننا لن ننشغل بتطور الدلالة من مفردة[37] إلى لفظة[38] إلى مصطلح قرآني[39] إلى مفهوم[40] شرعي قرآني كلي، فذلك سياق يحتاج لبحث مستقل، ولكن ذلك لن يمنع من فتح ذلك القوس الذي قد يتم تطويره لاحقا، بمجهود الباحث أو أي باحث آخر. وهذا القوس يتتبع تطور دلالة المصطلح القرآني المقصود حسب توالي سور القرآن كما وردت في المصحف وليس بحسب ترتيب النزول.

تطور دلالة مصطلح التمكين حسب ترتيب المصحف: لقد انطلق مصطلح التمكين في القرآن، مع سورة الأنعام، حيث يعرض القرآن قدرة الله أساسا لكل تعامل حتى يكون ابن آدم واعيا بها، حيث يؤسس لعلاقة التمكين بحسن التصرف، إذ في غياب ذلك يحدث الهلاك. ثم يترقى المعنى مع سورة الأعراف، في مشهدين، الأول: بمعنى واسع حيث عرض التمكين نعمة أسبغها الله على عباده كافة حيث يستفيدون من كل خيرات الأرض، ثم الثاني: حيث يمن الله على الذين أتوا من بعد الأقوام التي تم تدميرها لتمردها على ربها. ثم يتمدد المعنى مع سورة يوسف، حيث يكشف القرآن عن النتيجة الفردية للالتزام بالتوجيهات الإلهية فيكون التمكين شريطة الصبر وعدم الاستعجال واليأس؛ فيوسف عليه السلام ينتقل من العبودية إلى السجن ثم إلى التمكين في الأرض تمكينا فرديا يأتي بعده التمكين للجماعة، وهو لم يفز بذلك إلا بالصبر والتسامح والمغفرة. لقد وصل من عبد مملوك إلى مالك لخيرات كل البلاد متحكما في تصريفها وتقسيمها بين الناس، ولم يحوله لمغرور بل ظل حامدا لربه شاكرا له على إنعامه. ثم يكشف القرآن عن ضرورة اقتران الالتزام بالشريعة بالعلم كما عبر عن ذلك في سورة الكهف مع ذي القرنين. ومع سورة الحج يزداد المعنى اتساعا ووضوحا حيث يعلن الله أصلا لا يجوز التغافل عنه أبدا، وهو أن الله هو الذي يدافع عن الفئة المؤمنة حتى لا تغتر إذا ما بذلت غاليا في سبيل نصرة دين الله والدفاع عنه؛ كما تكشف السورة، الذي وسمها باسم الحج، الذي هو ركن من أركان الإسلام، على ضرورة الالتزام بالشرع الرباني. وفي سورة المؤمنون يتم تذكير ابن آدم على أصله قبل أن يصير كيانا يدعي القدرة والمكنة من الأشياء والقرارات. ومع سورة النور تتشكل حقيقة التمكين وشروط تحققها. ومع سورة القصص تزيد الحقيقة اتضاحا حيث تعلن لابن آدم أن التمكين نعمة وتكرم من الله للفئة المؤمنة الصادقة مهما كان ضعفها، وحتى ولو كان من يواجهها في قدرة وسلطة ومعرفة فرعون؛ وأن العلم الذي لا يركن إلى الله يقود إلى الدمار كما تم تدمير قارون. ومع سورة الأحقاف يتم الكشف عن تحقق التمكين في عهد النبي ﷺ والفئة التي آمنت به واتبعت تعاليمه. ومع سورة المرسلات يذكر القرآن الفئة المؤمنة بحقيقتها وأنها لا تساوي شيئا بدون ربها. ومع سورة التكوير، وبه استوى مدلول التمكين ووعد بإمكانية تحققه في كل وقت، وقد تجلى ذلك في إعلاء لقيمة النبي ﷺ وتمكينه في الأرض وذلك مؤمن بربه لا يستعجل تحقق المنشود.

القواعد الأصول المنظمة للمصطلح القيمي المركزي:

1- التمكين بين الحقيقة والوهم: إن النظر إلى هذا المفهوم يجب ألا يعتمد مجرد النظر القياسي، بل أن يرتقي لمستوى النظر الكلي القائم على الاستقراء ثم الاستنباط، واستخدام العقل لفهم النص، ليتساوقا معا

للخلوص إلى النتيجة المطلوبة من الاحتكام إليها ليتكون لدينا 'فقه للفهم'، كما تملكنا فقه الأحكام، ونعمل لتحقيق 'فقه للحياة'، ليتجسد فينا 'فقه الحضارة'.

2- من التمكين الفردي إلى التمكين الجماعي: إن الفهم للسنن الكونية يتطلب أن يرتقي هذا الفهم من مجرد الفهم المعرفي القائم على التنظير وطرح التصورات إلى مستوى الوعي بهذه السنن ومجالات تحصُّلها وكيفية اطرادها والوقوف على عدم تخلفها عمليا وتطبيقيا، حتى يكون بمقدور كل فرد من أفراد الجماعة والمجتمع والدولة والأمة قادرا على الربط بين ما حدث بالأمس ومدى تسببه فيما يحدث اليوم واستشراف المستقبل وتوقع ما سيحدث فيه بناء على حقائق الحاضر.

لقد ذهب الصلابي[41] للقول: "إن تولي أهل التوحيد والإيمان أعباء الحكم لدولة غير مؤمنة نوع من أنواع التمكين"، غير أننا نرى أنه تمكين للفرد لا للعقيدة ولا للقوانين، كما هو وضع يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]. هنا جاء التمكين الفردي، الذي يمكن أن يتحصل منه التمكين الجماعي، ثم التمكين الأممي: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾ [يوسف]. فقد كان عليه السلام يخطط للتمكين في كل مكان، خصوصا حين دخل السجن، حيث لم يتوقف عن الدعوة إلى الله حتى في أحلك الظروف، وفي أضيق الأماكن.

3- بين التمكين الجزئي والتمكين الكلي: وضمن الوعي السنني استحضار مفهوم 'الأسباب'، فالكون كله يحتكم لهذا القانون: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً (25)﴾ [مريم]. فقد كان بمقدوره تعالى أن ينزل تلك الرطب، ولكنه خلق نظام الأسباب وهو أول من يحترمه سبحانه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42)﴾ [ص]، فقد طلب من أيوب عليه السلام أن يباشر الأسباب حتى وهو في حال المرض الشديد، كما كانت مريم في حال المخاض الخطير، فالأسباب نظام ضمن نظام التمكين، وكلها ضمن نظام السنن الكونية. ولعل اطراد السنن وعدم تخلفها وربط الأسباب بنتائج التمكين والنصر وغيرها، ما حدث في معركة أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152)﴾ [آل عمران]. فمن احتمى بهذه السنن كان من نتائجه حصول التمكين والنصر، وإلا فإن سنن الله لا تجامل أحدا: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166)﴾ [آل عمران]. وضمن سنة التمكين، تنبت العديد من السنن الكونية الأخرى، التي تترابط كلها فيما بينها، من مثل سنة الاستدراج[42]، وسنة التدافع، الذي هو سبيل لتحقق سنة التمكين، وغيرها من السنن.

4- من التمكين الذاتي إلى التمكين الموضوعي: قال مالك بن نبي: "أي إخفاق يسجله المجتمع في إحدى محاولاته، إنما هو التعبير الصادق على درجة أزمته الثقافية..."[43].

يمكن القول إن التمكين تجسد في سيرة ذي القرنين، حيث كان عادلا في تصرفاته يبتغي الحق وكان الناس أمامه يتفاضلون بأعمالهم لا بشخوصهم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (84)﴾؛ فالقرآن يصرح بتمكُّن ذي القرنين في الأرض تمكينا كبيرا، وكانت له سلطة قوية، ولكن ذلك التمكين لم يكن من فراغ، بل كان لكونه تحصل عليه بصدقه في الإيمان وتطبيقه لما يعلم: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً (85) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً (88)﴾، فتجلى في سلوكه الحاكم العادل الذي يتفقد رعيته تفقدا حقيقيا ويقوم على حماية مصالحهم من الفساد: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (89) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً (91)﴾، وقد بذل مجهودا في تحصيل العلوم التي تسعفه في الحصول على تمكين الله له، وانظره يصل إلى المكان الذي لا تختفي الشمس عنها أبدا، فلعله قطب جنوبي حيث النهار يستمر دائما، وحيث ليس بين الناس هناك وبين الشمس أي ستار، بتبدل الليل والنهار: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً (94) قَالَ مَا مَكَّنَنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (96) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً (97)﴾[44]؛ فالتمكين لا يحصل إلا برعاية الرعية والوفاء بالالتزامات، وتحصيل المعرفة العلمية المفيدة المنتجة[45]، التي تظهر نتائجها عمليا حال الحاجة إليها. وقبل كل ذلك وبعده، توفر الصدق مع الله والاعتراف بالضعف، مهما كانت القوة، وكانت جحافل الأتباع والجيوش، أمام قهر الله تعالى، فمن يعترف لله بقدرته يكون في عونه والرفعة من شأنه وتعميق قوته: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً (98)﴾ [الكهف]. فهذا هو التمكين الموضوعي الحقيقي الذي توفرت له ضوابطه، وتحصلت فيه شروطه.

5- بين التمكين الآني والتمكين الدائم: إن الله قد سطر للكون قانونه العام وقواعده التنظيمية التي لا تتبدل ولا تتغير، والله تعالى هو واضع القانون الكوني، وهو أول ملتزم به، وبما فيه من قوانين تنظيمية، ولا يخرقها إلا نادرا، لتحقيق معجزة تثبت أن الله فوق القانون الكوني: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (19)﴾ [يونس].

وإن حصول بعض التمكين وارد، كما حدث لبني إسرائيل حين دخلوا الأرض المقدسة، لكنه كان، تمكينا غير تام، حيث كانوا هم أنفسهم يخرقون ضوابطه. ورغم بوادر إمكانية التمكين فأغلبيتهم لم يسهموا فيه؛ ولم يصمد إلا فئة صغيرة بزعامة داود[46]، الذي سيصير ملكا نبيا، وتلك مزية لم تكن لأحد قبله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251)﴾ [البقرة]، فمن تفضُّلِ الله على بني إسرائيل أن كان يبعث لهم النبي، كما كان يبعث فيهم الملك، وقد يجمع لأحد منهم المُلْك والنبوءة. ولئن تحقق لهم التمكين بفضل الإيمان، ولفترة محدودة وفي حيز محدود مع توفر السلطة الخارقة، وإلا لم يكن ممكنا لهم التمكين بغير القوة والسطوة؛ فقد انتزع عنهم بانحرافاتهم المتكررة، وإلى الأبد؛ إذ من طبيعتهم الإفساد: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (6) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (7) عَسَى رَبُّكُمْ

أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً (8) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (9)﴾ [الإسراء].

6- التمكين بين الوعد والتحصيل: إن مرور الزمن أكسب المسلمين وعيا بهذه السنن الكونية، لكنه وعي لم يستقم قط على ماهيتها مما عطل الاستفادة من ذلك الوعي. والقرآن الكريم حث عليه، كما ألح على الفهم والتفعيل. إن الله تعالى قد أمد العديدين من الخلائق بقوات كثيرة وعجيبة: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (20) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾ [الإسراء]. فقد أمد فرعون موسى، على الخصوص، بعلم ومعرفة وأعوان وقدرات هائلة، متطورة، صنع بها أهرامات لا زال الناس مشدوهين لعجائبيتها إلى يوم الناس هذا: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ (37)﴾ [غافر]؛ وقال أكبر من ذلك: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى (24)﴾ [النازعات]؛ فلم يشكر عطاء ربه فكان مصيره: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26)﴾ [النازعات]. في حين أن غيره لم يكن في مثل جبروته، فهذا سليمان عليه السلام الذي كانت له إمكانيات تفوق ما أعطي فرعون بما لا قبل له به، ومع ذلك قال: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ **قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ** وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)﴾ [النمل]، وهذا ذو القرنين يقول وقد ملك العالم من شرقه إلى غربه إلى شماله إلى جنوبه: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً (94) **قَالَ مَا مَكَّنَنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ** فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (95)﴾ [الكهف]. فالتمكين الرباني في الأرض لا يتم بالوعد والامتياز ولذات المتمكَّن وقدراته الذاتية، بل هي تحصيل يتم بالالتزام بتعاليم الله تعالى والسير على طريق الحمد والشكر: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)﴾ [سبأ].

9- من التمكين في الأرض إلى التمكين في الدين: إن هذا المبحث يفرض علينا أن نتساءل: هل النصر مرادف للتمكين؟ لقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)﴾ [الروم]، فالقرآن يتحدث عن انتقام إلهي تستفيد منه الفئة المؤمنة: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ (28)﴾ [الدخان]، لتوفرها على الشروط التي اشترطها الله تعالى مقابل التمكين، فقد ورث نوح، ولوط، وشعيب، وهود، وصالح، عليهم السلام ومن آمن معهم الأرض، وتمكنوا فيها، بعد هلاك الظالمين من أقوامهم أو دولهم. وعليه، فقد كانت عادة القرآن ألا يصف أو يتحدث عن تمكين لأمة من الأمم، ولكنه في سبيل تحقيق ذلك، وصف علامات تمكين لأفراد، تحيل في الوعي المسلم أنه بالإمكان تحقق التمكين الفردي، الذي هو نواة لتحقق التمكين في الأمة متى تحقق الشرط في 'كل أفرادها'، وليس في بعضها، وهو ما يمكن فهمه بالنسبة للأمة الإسلامية المحمدية. إن تحقق التمكين الفردي لم يتوَقف أبدا عبر التاريخ، ولكنه لم يتحقق في 'الأمة الإسلامية' بعد فقدها لأحقية الشهود الحضاري، حين ابتعدت عن الطريق المرسوم، بعد أن تحقق فيها لقرون عديدة، ثم تدلت لقرون طويلة أيضا، ولعلها كانت سبعة قرون في علو مستمر[47]، ثم قرون سبعة في نزول لا يتوقف، فهل يأتي بعد ذلك 'عام' فيه يغاث الناس وفيه يطعمون؟ هل هو عام الكورونا؟ إن الخيار بيد الأفراد كما هو بيد الدول اليوم: 'إما أن تكون أو لا تكون'.

يقول الصلابي: "إن التمكين الفعلي والانتصار العظيم والإعزاز الكريم عندما يتمكن منهج رب العالمين من نفوس أهل الإيمان، وإن كانوا قلة، فالعبرة ليست بكثرة المؤمنين والمستجيبين للحق، وإنما في صفاء المنهج الرباني الذي يعتقده أولئك الأفراد سواء أقلوا أم كثروا، ولذلك فإن بضعة نفر أو يزيدون، ولا يتجاوزون ثلاثة عشر فردًا يحملون معنى التوحيد، ويحققون معنى العبودية، يهلك أهل الأرض جميعًا حماية لهؤلاء وللمنهج الذي يمثلونه ويحملونه، ما دام هناك خطر يهدد بزوالهم، ومن ثم زوال المنهج الذي يحملونه: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 27][48].

8- بين كون التمكين سببا والتمكين نتيجة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)﴾ [القصص]، فهل هذه الآيات حكت عن تحقق التمكين، أم إرادته فقط؟ فبالنظر للإمكانية فقد كانت بوادر التمكين متاحة في العديد من المرات لبني إسرائيل، إلا أنهم كانوا يرفضونها ويتمسكون بالذل والهوان: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)﴾ [المائدة]. فهم لم تنشف أقدامهم من ماء البحر الذي انشق أمامهم حتى طلبوا الطلب الغريب الذي لا يفيد أن تلك الفئة فئة قد تستفيد من التمكين في الأرض، بدلالته القرآنية: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140)﴾ [الأعراف]. ولكن الذي يمكن فهمه من تلك الآيات أن الله تعالى مكن للأفراد، حيث يقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)﴾ [الأنبياء]. فأمة بني إسرائيل كبيرة عبر التاريخ وأنبياؤها كثيرون، وتلك نماذج للتمكين الفردي الذي تحصّلوه بجدهم وإيمانهم، وأما التمكين للأمة، فما وقفتُ عليه، إلا ما كان بالقوة، وذلك ليس تمكينا كما تكشف الآية المركزية، وإلا ما كان ضمن التداول الحضاري بين الأمم.

9- التمكين بين الحقيقة والتوهم: إن تخلف أسباب التمكين تجعله متعذرا مما يؤثر في نفسية الطامعين لتحقيقه ونواله، غير أنهم لا يكترثون لتخلف الأسباب وينشغلون بالرغبة في التمكين أو بِلَوْم القدر أنه لم يحقق الوعد، متغافلين عن كونهم لم يتحصلوا لا أسبابه ولا شروطه.

10- التمكين بين المؤامرة والعقاب: بالنظر في التاريخ البشري تجد العديد من الإمبراطوريات والدول تحكمت في مقاليد العالم لقرون عديدة وسامت الناس بالحديد والنار، ولم تزُل إلا بعد أن وصل الظلم حدا غيَّر وجه الكون وأكثر فيه الفساد، فهل ذلك نوع من التمكين في الأرض؟ وهل هو بذلك إعداد إلهي للعقوبة؟ وهل تم حصولهم على التمكُّن بالمؤامرات؟

هذا مجال يفرض راهنية التساؤل حوله، حيث إن العديدين يربطون التمكين بالقوة العسكرية، فيجعلون من دول الغرب نموذجا يقتدى للوصول إلى التمكُّن من خراج الأرض. وهناك أمر آخر يفرض تساؤلا آخر، هل التمكين يكون في الدين أم في الأرض؟ والآية المركزية تربط التمكين في الدين: في حين أن آيات أخرى تحدثت عن التمكين في الأرض، فما الفرق بين التمكينين؟

التمكين في الأرض يمكن أن يكون للأفراد، كما كان الشأن ليوسف عليه السلام، كما يمكن أن يكون التمكين للجماعات أو للأمم، كما كان لذي القرنين؛ أما التمكين في الدين فهو خاص للأمم، لكون التمكين حينها سيكون سبيلا لنشر دين الله على نطاق أوسع من نشره على يد الأفراد، وحيث يكون في حال التمكين للأمة سيادة الأمن.

هل التمكين الذي تحدث عنه القرآن يكون من شروطه توفر القوة العسكرية أم أن القوة العسكرية هي نتيجة بعد التمكين في العقيدة؟ إن تمكين الله ليوسف عليه السلام في الأرض كان خاصا به في تلك الفترة الزمنية إعدادا له لتمكين أكبر، وهو ما وصل إليه في مرحلة ثانية، غير أنه ظل تمكينا في الأرض وليس تمكينا في الدين، وعلى هذا الأساس، يمكن للباحث أن يزعم أن التمكين في الدين بالمعنى المشروط في الآية المرجعية خاص بأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فحتى سيادة ذي القرنين على العالم كله لم يتجاوز تمكينا في الأرض.

هل التمكين للقوى التي لا تلتزم شرع الله وتشيع الظلم في الأرض هو استدراج لهم؟

يقول الله تعالى: ﴿وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177) وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179)﴾ [آل عمران], فالتمكين في الأرض مصطلح قرآني لا يمكن صرفه في غير اتجاهه الذي رسمه القرآن له، وعلى هذا الأساس، فإن سيطرة أية قوة في الأرض ليس تمكينا لهم، بل هو 'إملاء' لهم واستدراج لهم، فإما أن ينصلح حالهم، أو يصيبهم عذاب الله وعقابه على انحرافهم عن الحق واعتداؤهم عليه.

إن فكر المؤامرة حقيقة تاريخية ثبتت بالتجربة والتتبع التاريخي، غير أن ذلك لن يدفعنا لتخصيص وقفة طويلة فيه، لكن الواقع يؤكد كيف أن العديد من القوى المسيطرة على العالم، يتم التخطيط بينها لمنع أية قوة جديدة من مزاحمتهم على سيادة العالم، كما أن مساعدة بعض القوى على مزيد من البقاء إنما ضمن تلك المنظومة المؤامراتية، أو دفع بعض القوى للثورة هنا أو هناك ودعمها بالمال والعتاد وربما بالعساكر والمرتزقة لتركيع بعض الدول التي تحاول الفكاك من سيطرة القوى المتغولة. فالدول السائدة إذن ليست التي مكّن لها الله، بل هو استدراج، و'التاريخ المستقبلي' كفيل بإثبات ذلك.

قاعدة فريدة: هل التمكين للصفة؟ من المؤمنين رجال... وتَتَبُّع صفة الرجولة في القرآن، والتمكين، يبدأ مع أولى الكلمات التي يعبر بها من يسعون لحصول درجة التمكن في الأرض، فبدون تلك التعبيرات لا يمكن أن يتحقق، بعدُ، التمكن للجماعات والدول: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ (23) إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلْ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُكْرَمِينَ (27) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (28) **إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** (29) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون (30)﴾ [يس]. إن استشهاده كان بداية للتمكين لفئة من أمثاله مباشرة بعده. لكن، لماذا لم يحدث التمكين في قصة أصحاب الأخدود؟ فقد تم استئصال الفئة المؤمنة كلها، وسادت إثرها الفئة الباغية. هل في

هذه القصة توجيه للفئة المؤمنة حتى لا تستعجل حصول التمكين حتى ولو توفرت له شروطه؟ أليس فيه إخبار الفئات المؤمنة بحدوث الاستثناء في الوعد الرباني؟ إن الله تعالى يخبر عن حدوث الاستثناء في كل شيء، ألم تسمعه تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)﴾ [هود]. كما أن قصة العبد الصالح مع موسى عليهما السلام تكشف حقيقة مفادها: أن الحقيقة هي التي يملكها الله تعالى، لا 'الحقيقة' التي قد نفهمها، أو قد نتوهم أنها حقيقة، فتأويل العبد الصالح للحوادث يبين أنه فهمها كما فهَّمها الله تعالى له، أي بنتائجها المستقبلية لا بظواهرها الحالية. ومن هذا المنطلق، أَفهمُ التمكين الذي مكنه الله تعالى للغلام في قصة أصحاب الأخدود، فقد آمن بعده العشرات وتحقق التمكين لهؤلاء الذين قضوا في الأخدود بأن صاروا أنموذجا لانتصار الفكرة على الجسد والرغبة في التسلط.

الواقع وأمارت التمكين: إن استحضار النص يقتضي استحضار الواقع ابتداء، وذلك حتى يرد النص حَكَماً على الواقع؛ إذ باستحضار الواقع تتبين الحالة الحالية وانكشافها واتضاح ملامح القوة وتجليات الضعف بالقياس إلى المرتبة المنشودة في غياب ورود النص. وحين تتبين ظروف الواقع يتم البحث عن البديل إثر ذلك يرد النص ليعطي موقفه من الواقع واقتراحه للبديل.

وإن التملي في التاريخ ليس من أجل التباكي عليه، وعض الأنامل على فقد أمجاد لم يبق منها إلا كتابات، وليس من أجل توجيه اللوم لفئة هنا أو هناك قد تتحمل بعض أو كامل المسؤولية على ضياع تلك الأمجاد؛ ولكنه استحضار من أجل القياس بين ماض وقع وحاضر ممكن الوقوع على بعض منواله، ومن أجل المقارنة بين حاضر المسلمين وحاضر الغرب الذي سار يسرع الخطى باتجاه الأمام في حين أننا نسرع مثلها في الاتجاه المعكوس: "يمتعض الكثير من الشباب المسلم من واقعه الذي أصبح لا يطاق، يتطابق لديه النهار بالليل، اليوم بالأمس، والعام الحالي بالماضي وربما القادم، يجد نفسه بين واقع سياسي مزري، واقتصادي مفلس، واجتماعي مخرب ويتمنى أن يستيقظ ويقول: (الحمد لله أنني أحلم)"[49].

لن أنشغل بالحديث عن حال المسلمين اليوم مع الصلاة، فقد يقال إنها مسألة شخصية، إذ ترك أحد للصلاة لن يؤثر في غيره، ولنقبل ذلك جدلا؛ ولكن الذي قد يشغلني هو اعتداء صاحب النفوذ على المستضعفين؛ وقهر صاحب السلطة لمن هم دونه، فتلك نماذج تجعل من الواقع مرا لا تطاق مذاقته. وقد أنشغل بممارسات 'أغنياء زمن الجوع' التي قد تتمثل في إشاعة الفاحشة، وتكسير قيم الشباب، وإيهامهم بالجنة الموعودة هنا أو هناك.

لقد مثلت السنوات الأولى من القرن العشرين تجسيدا حقيقيا لحديث رسول الله ﷺ: "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قلنا: يا رسول الله، أمِن قلة منا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل الوهن، قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت"[50]، حيث لم تبق دولة إسلامية إلا ودخلها الاستعمار الذي أنهكها باستغلال أفرادها، ونهب ثرواتها.

ومن أهم مظاهر هذا التراجع الحضاري التخلف العلمي: "في الميدان العلمي حدث تقلص ضخم أبعد بالتدريج كل العلوم التجريبية من معاهد العلم، في الوقت الذي اقتصرت فيه العلوم الشرعية على فكر القرن الخامس الهجري. ثم أخذ التقليد يتكرس قرنا بعد قرن، واقتصر التصنيف العلمي على شرح المؤلفات السابقة أو تلخيصها[51].

ولا يمكن لأحد أن يناقش تفوق العالم الإسلامي في كل المجالات بحيث اعترف بذلك الأعداء قبل الأصدقاء: "لقد كان من مفاخر الحركة العلمية الإسلامية في عصور الازدهار أنها تفتحت للعلم كله، وأبدعت في جميع العلوم الشرعية والتجريبية. وكان العالِم يتخصص في العلوم الشرعية ويكون في ذات الوقت عالما بالطب أو الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء بغير تعارض ولا تناقض بين هذا وذاك. وكانت المعاهد العلمية في الأندلس وغيرها تعلم طلابها كل فروع العلم وألوانه بغير تفريق، وكانت العلوم التجريبية من المعالم البارزة في تلك المعاهد إلى جانب العلوم الشرعية. ومن هناك تعلمت أوربا المنهج التجريبي في البحث العلمي، وترجمت ما كتبه المسلمون في الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات والبصريات، وكانت تلميذة عليه في بداية نهضتها"[52].

ويتبين من خلال كتابات العديدين ممن تحدثوا عن هذه الفترة أن المعرفة الشرعية عندما سادت وجمعت في حضنا المعرفة التجريبية أكسبت القدرة على الإنتاج: إن "تقلص العلوم الشرعية وانحسار الاجتهاد والتجديد: أما العلوم الشرعية فقد تأثرت هي الأخرى بروح التقلص العامة التي فشت في المسلمين من أكثر من وجه، حيث تحول الطلاب إلى حفظة لا مفكرين، يتعالم الواحد منهم بقدر ما يحفظ من المتون والشروح والحواشي، ولكنه لا يفكر في الإضافة والتجديد والتأصيل العلمي، ففقد العلماء أصالة العلم وأصبحوا مجرد نقلة مقلدين"[53].

وبالمقارنة بين العالم المنتج في تلك الفترة الذهبية التي سبقت 'سد باب الاجتهاد'[54]، وبين المفكرين وإنتاجاتهم في العصور التالية، وخصوصا في العصر الحديث الذي كثرت فيه الكتابات: "ومن خلال تراجم الشيوخ والعلماء في العصر الحديث نستطيع أن نتبين أن بعضهم كان غزير الإنتاج؛ فكم من عالم أنتج العشرات من الكتب والرسائل، ولكننا لا نستطيع أن نجد من بينها بحثا له قيمة أو كتابا يضيف إلى العلم جديدا، أو رسالة فيها شيء من الابتكار، وإنما أقصى ما يفعله الواحد منهم أن يكتب شرحا لمتن أو يضيف حاشية على شرح"[55].

إن الوضع متأزم تشابكت فيه عديد من الفرضيات من قبيل: هل الأزمة في الوعي وغيابه، وهل الأزمة في القدرة على النهوض، وهل الأزمة في إعداد الكفاءات وحسن اختيارها، لكن الذي يبدو جليا أن الأزمة كامنة في ذات كل فرد من أفراد الأمة، ولا بد لإدراكه من الرجوع إلى الله والتسليم له. والخطير، اليوم، أننا نركز على ما يفرقنا ونغفل تماما عن كل ما يمكن أن يقربنا، وأن صراعنا صار بيننا فأهدر طاقاتنا وشغلنا بأنفسنا عن الاشتغال بالأمة.

التمكين من خلال الآية المركزية: فقد حددت الشروط والأسباب والنتائج:

1- **شروط التمكين**:

1.1- **الإيمان**: وأساسه توحيد الله دون شرك معلوم؛ ثم غياب الكفر المخرج من الملة، لكون نتيجة ذلك الكفر هو الفسق، وقد فسق إبليس عن أمر ربه فأخرج من الرحمة وتحصل اللعنة بدل التمكين المؤسس على الحق والعدل.

1.2- **العمل الصالح**: مرتبط بالقيام بالواجبات التي حددها الشرع بحسب الطاقة البشرية ودون تكاسل ولا ملل ولا رياء، والبعد الكلي عن كل النواهي، إذ ليس فيها شرط الاستطاعة.

2- **أسباب التمكين**:

2.1- بذل الجهد: وهو مرتبط بالأخذ بالأسباب، فغيابها يحوِّل طلب التمكين إلى أماني ضررها أكبر من نفعها، إذ تحول طاقة المرء إلى هباء، كما حل بالقوم الذين كانوا ضحية ليأجوج ومأجوج، فكان من دور

ذي القرنين أن حولهم من أجساد متهالكة إلى طاقات فاعلة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنَنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ **فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ** أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ **قَالَ انفُخُوا** حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ **آتُونِي أُفْرِغْ** عَلَيْهِ قِطْراً (96)﴾ [الكهف].

2.2- طلب العلم المنتج: فكل الذين تم التمكين لهم توفروا على علم مفيد سواء أكان التمكين فرديا أو غيره، فقد قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)﴾ [يوسف]، إذ لا تمكين بدون علم، وهذا واضح من بداية ما حدث التعلم والتعليم والاستفادة مع يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)﴾ [يوسف].

2.3- نشر العلم وربطه بالعدل، فلا تعليم حال الظلم والتمييز بين الناس، وتفضيل بعضهم على بعض من دون معايير شرعية للتفاضل: وهذا كان مشروع ذي القرنين، حيث عمم المعرفة العلمية بين رعاياه؛ كل بحسب احتياجاته وظروفه ومؤهلاته.

3- **نتائج التمكين**:

3.1- **نتائج مباشرة للفعل على الأفراد والشعوب**: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً (98)﴾ [الكهف].

3.2- **ونتائج في اتجاه التمكين**: الاستخلاف في الأرض بسياسة شرعية، وحصول القدرة على التدين والقيام بالتعاليم الشرعية بكل حرية ودون قهر لا بالإيجاب ولا بالمنع، مع التمكن من نشر المعتقد والدعوة لتوحيد الله تعالى، كما حدث مع يوسف أو مع سليمان، أو مع ذي القرنين عليهم السلام.

3.3- **حصول الأمن**: ويتحصل الأمن بكل تجلياته، أمن غذائي وجسدي ونفسي وروحي، إذ غياب الأمن أشد من أي عذاب آخر، إذ بغياب الأمن تتحول النعم إلى نقم لا يحس أحد بطعمها، كما يعيشه العالم في هذه الأيام، مع فيروس الكورونا، حيث يغيب الأمن كلية، إذ غياب الأمن على الحياة يحول العيش إلى جحيم، حيث يخاف الناس على أنفسهم فيعيشون الضيق، بل هو أشد أنواع الضيق: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (116) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا **حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا** إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾ [التوبة]. وقد حان وقت التوبة.

زمن الكورونا فرصة للتمكين: إن التاريخ يجود بفرص يجب اقتناصها والاستفادة منها، لكونها لا تتكرر بنفس الصورة، ولا تعود الفرصة إلا بعد عشرات السنين، وفرصة تملص البلاد الإسلامية من التخلف والاستيلاب والاستعمار بكل تجلياته قد حانت حيث إن العالم كله منشغل بلملمة جراحه، وعد أمواته الناتجة عن الجائحة، وذلك بأن يبحثوا عن الكفاءات وحسن استثمارها للخروج من التبعية في الصناعات الطبية، وغيرها، وقد تبين من العديد من الإنتاجات، وخصوصا في المملكة المغربية، أن الكفاءات كثيرة ومتوفرة، ومستعدة للعودة إلى بلدانها للرفع من مستواها العالمي. وحتى تنجح القضية لا بد من توفر أساسيات:

1- **الإخلاص في التوجه والعمل**: إن الإخلاص مطلب جوهري في كل شيء، ألم تسمع الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29)﴾ [الأعراف]. فهو شرط للوجود في المساجد، وإلا فلا قيمة ولا حاجة لتوجيه الدعوات: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)﴾[البينة]. بل إن الدعوة حال حصول الإخلاص تنتج: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)﴾ [يونس]، حيث أنتجت استجابة الله تعالى لتلك الدعوة لتوفر 'شرط الإخلاص'؛ وهذا المشهد تكرر في القرآن ليؤكد 'فعلية الإخلاص' في الدعوة، وفي كل الأعمال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65)﴾ [العنكبوت]؛ ويحدث الإخلاص في حال الشدة، وهو ما يتبدى في هذه الأيام مع سيادة فيروس كورونا، حيث يشيع توجه الكثير من الناس إلى الله تعالى برفع هذا البلاء، ونرجو أن تكون أدعيتنا خالصة مخلصة لله تعالى، ونرجو أن يستجيب الله تعالى لدعواتنا، كما نرجو أنه حال رفع هذا البلاء أن نرجع فعلا لربنا: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32)﴾ [لقمان]. فلا بد من الإخلاص في التوجه إلى الله تعالى، فبالإخلاص يكون النصر والتمكين في الأرض وفي الدين. والإخلاص هو الصفاء من الشرك.

2- **الصدق في بذل الجهد**: والصدق يرتبط بالشجاعة: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)﴾ [يس]؛ دون أن يعني أن انتفاء الشجاعة انتفاء للصدق، فالصدق كما يكون في التصور يكون في الأداءات والأفعال التي لا تحتاج للشجاعة ضد المعارضين: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28)﴾ [غافر]. وليس يهمنا هو الصدق المعارض للكذب، وإن كان له موطنه في تحقق التمكين، لكون القرآن لعن الكاذبين.

3- **الانقياد التام لله في كل التصرفات**: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (108) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110)﴾ [الصافات].

4- **اعتبار العلم عصب الحياة والعيش**: لا يمكن الحديث عن أي تمكين من أي نوع كان من دون معرفة علمية دقيقة تسهم في تيسير الحياة وربح الطاقات والاقتصاد في الجهد. فقد تم التمكين ليوسف عليه السلام بناء على علمه، وكذا بالنسبة لذي القرنين. أما العلم الذي بني على غير شريعة، فإنه لن يقود للتمكين بل سيكون استدراجا يقود للعقاب، إن لم يتم استدراك المقصود به نفسَه ليصحح مسيرته، كما حدث لقارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ

الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ (81)﴾ [القصص]؛ أو كما حدث لفرعون، حيث كان ذلك العلم المكتسب موظفا في غير الهداية، كانت نتيجته الضياع والعقاب. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً (101) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (102) فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنْ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (103) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً (104)﴾ [الإسراء].

التمكين للمسلمين: إن التمكين كان دائما ممكنا لكل الأمم السابقة فمتى لم يلتزم من أفرادها وانحرف بالحد لا يمكن معه التجاوز عنهم يحدث لهم الاجتثات، والفئة التي التزمت منها بالمطلوب تحصلت عليه، وهذا وارد في كتاب الله تعالى كثيرا: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (29)﴾ [الدخان].

وإن صفة الإسلام هي صفة لكل الشرائع التي نزلت من السماء منذ آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، غير أنها صارت هي الصفة الغالبة لأمة محمد ﷺ، دون غيرها، ومن ثمة فالتمكين في الدين هو خاص لهذه الأمة دون سواها.

فهل حصل التمكين لهذه الأمة؟ وهل بإمكانها أن تحصل عليه في حياتها الحالية والمستقبلية؟

لقد سبق القول بأن دخول مكة المكرمة، فتحا، كانت بداية للتمكين الحقيقي للأمة الإسلامية، حيث تمكنت الفئة المؤمنة في المدارين مكة والمدينة، من القيام بتكاليف دينها بكل أمن، كما أنها أشاعت الأمان بين الناس، حيث فتحت أقاليم كثيرة ودخل سكانها في الإسلام في العديد من المواطن طواعية بدون حرب. فبذلك تم التمكين لهذه الأمة في الأرض، وتم التمكين لدين ارتضاه الله تعالى، ودام هذا التمكين ما دامت شروطه حاضرة، وأسبابه قائمة، وضوابطه مصونة، فلما انحرفت الناس أفرادا وجماعات وقيادات، بدأ التمكين ينجر من تحت أقدامهم، ومع كل محاولة للعودة، كانت الأمارة تكشف أن التمكين ممكن في أي زمن، غير أن الواقع اليوم يجعل من تحصل التمكين قضية لا يمكن أن نقول أنها مستحيلة، ولكنها من الصعوبة بمكان ما يتطلب إصرارا وعزيمة من كل أفراد كل دولة من البلاد الإسلامية؛ فهل 'الوعد' الإلهي بالتمكين مرتبط بالوصف القرآني بالخيرية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ (110)﴾[آل عمران]؟ وهل يكون التمكين تداوليا بين الناس بغض النظر عن معتقداتهم أم أن التمكين مرتبط بشرط الإيمان بالله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)﴾[آل عمران]؟ إن التمكين لهذه الأمة يتطلب:

1- **الأخوة**: شرط من الشروط الضرورية لتحصيل التمكين للدين في الأرض، فالعمل الفردي لم يعد بالإمكان اعتباره، فلا بد من تضافر الجهود، وهذا لا يتأتى إلا بتوفر أخوة حقيقية بين الناس، عموما، وبين المتصدين للدعوة والتوجيه، وإلا فإن العمل الفردي سيتطلب أضعاف المدة التي يمكن أن تحدث من جراء العمل الجماعي.

2- **الحرص على فتح المدارس والجامعات ووضع المناهج الحقيقية**: إن التعليم مسألة حيوية أثبت ضرورتها ونجاعتها، ولا يعتذرن الذي يقول بأن النبي ﷺ لم يتعلم في جامعة أو مدرسة، ولم يؤسس مدارس ولا جامعات، وأن أبا بكر وأمثاله من الصحابة لم يتخرجوا من أي مؤسسات تعليمية. إن النبي ﷺ تخرج من مدرسة الوحي، وكان المشرف عليها رب العزة، ويدير شؤونها الملك جبريل عليه السلام؛ وقد تخرج الصحابة رضوان الله عليهم جميعا من مدرسة وجامعة الوحي التي يدرِّس فيها الرسول ﷺ، وهو الذي وضع مناهجها ويقوِّم نتائجها ويشرف على تداولها. وأما بعد مئة سنة من الهجرة فقد أصبح حال الناس غير الحال، وصار من الضروري إنشاء المؤسسات التعليمية. وما تقدم المسلمون إلا بالمدارس والجامعات، وما تداولت الحضارات وصارت بيد الغرب إلا باستفادتهم من المؤسسات التي أسسها المسلمون وخصوصا في الأندلس، وتعلموا العلوم التي استولوا عليها من المكتبات التي احتلوها فيما بعد.

3- حسن اختيار حملة الرسالة الموصلة للتمكين: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)﴾ [التوبة]. فالاختيار لهذه المهمة الجسيمة، يجب أن يتم وفق معايير مضبوطة، ومقاييس منضبطة، حتى تكون متوفرة على الحد الأعلى من الإمكانات والطاقات والكفاءات، لتحويل الحلم إلى حقيقة بناء على قواعد وأسس قابلة للتنزيل والتطبيق والتنفيذ.

والمشكلة ليست في قلة الموارد، ولكن المشكلة في البلاد الإسلامية في حسن تدبير وتسيير تلك الموارد. كما أن المشكلة الخطيرة تتمثل في البحث عن تلك الموارد والكفاءات. وتنضاف مشكلة أخرى في حال اكتشافها أنه يتم توظيفها في غير مواطن كفاءاتهم، كما تغيب عملية تكوينها وإعادة تكوينها وتأطيرها للمهام المقصودة. إن كثيرا من الطاقات العربية والإسلامية تعمل في أوروبا وأمريكا وفي أقصى آسيا، وهم متفوقون في مهامهم ومهماتهم[56].

وهذه النقطة تستهوينا بطرح سؤال شائع: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم؟ لقد كانت كل اقتراحات الإصلاحيين، مهما اختلفت مرجعياتهم، واتجاهاتهم، فإنهم أجمعوا على أن 'العلم' مسألة ضرورية في الرفع من قيمة هذه الأمة أمام غيرها من الدول والكيانات. "الله تعالى أنزل القرآن كتابا لصلاح أمر الناس كافة.... وأن الصلاح العمراني... هو حفظ نظام العالم الإسلامي وضبط تصرف الجماعات والأقاليم... ويسمى هذا بعلم العُمران، وعلم الاجتماع"[57]. وقد ذهب مالك بن نبي للعمل المتواصل للتأكيد بأن الغرب ليس اختيارا ولا حلا، متى علمنا أنه عاش في الغرب لمدة تكفي للخروج بموقف من هذا الغرب ومن ثقافته و'حضارته'، ويكون قادرا على المقارنة مع التصور الحضاري الإسلامي: "كل كلمة لا تحمل جنين نشاط معين فهي كلمة فارغة، كلمة ميتة... إن المشاكل العالمية ليست ذات طابع اقتصادي وليست ذات طابع سياسي إلى حدّ كبير ولا ذات طابع اجتماعي لأن المشكلات التي عالجها الفكر الماركسي في متوسط القرن التاسع عشر حُلَّت الآن... المشكلات التي ستواجه العالم هي مشكلات نفسية، هي بإجمال حيرة النفوس وشعورها بعدم الاستقرار رغم التمتع بجميع الضمانات الاجتماعية. ...أما مشكلاتنا نحن فهي اقتصادية اجتماعية... إن نجاحنا في المعركة العالمية سوف تكون بقدر نجاحنا في معركتنا الداخلية"[58].

الحل العلمي للإشكال:

دراسة علمية حول مصطلح التمكين:

أنواع التمكين:

1- **التمكين العام**: وهو التمكين العادي في الوجود على الأرض لفترة معينة تمتد من الميلاد إلى الوفاة، سواء ميلاد الفرد أو شعبه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ (10)﴾[الأعراف]، فهذا التمكين فيه كل الناس وكل الشعوب سواء، الظالم منهم والعادل؛ وقد يكون بعده العقاب: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (6)﴾ [الأنعام].

2- **التمكين الخاص**: وهو التمكين الذي يتحقق ببوادر من الالتزام بالسنن الكونية واتباع التعاليم الشرعية، وتحقق المعرفة المؤهلة له، وهو أقسام:

2.1- **تمكين فردي**: كتمكينه تعالى ليوسف عليه السلام.

2.2- **تمكين جماعي**: ولعله حدث مع يوسف عليه السلام حين أقدم والديه وإخوته وأقاموا في منطقة خاصة من مصر، فذلك تمكين له ولجماعته متى التزمت شريعة الله تعالى، فلما زاغت عنها، ولعلها حدثت بمجرد موت يوسف عليه السلام، إذ تلك طبيعتهم في الانفلات من التعاليم الشرعية، سلط الله عليهم من أذلهم، فكان الفراعين: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34)﴾ [غافر]، فهذا النص الفريد يكشف عن كون يوسف عليه السلام قد كان ناصحا للمصريين، وما كان ليصل إلى ذلك المستوى إلا بعد تمكينه من تشكيل موطن تتبدى فيه حقيقة ما يدعو إليه من تطبيق للعدل وإشاعة الأمن.

2.3- **تمكين أممي**: وهو ما كان مع ذي القرنين: وهذا التمكين لم يتم إلا بتوفر شروطه، أولها العلم؛ والعلم، هو الأساس، حيث لم يتحدث القرآن عن حقيقة ذي القرنين وهل هو نبي-ملك، أم ملك وعالِم أو مجرد فارس، لكن الشرط لتمكينه متوفر حيث أنه يحكم بالعدل، ويشيع العلم.

3- **التمكين المخصص/المخصوص**: وهذا تمكين لم ينله إلا محمد ﷺ، ففيه التمكين في الأرض والتمكين في الدين والأمن فيهما معا، وهو تمكين ممكن لأمته من بعده متى التزموا بما التزم به هو ﷺ وسار عليه.

4- **أقسام التمكين**: إن الذين تكلموا عن التمكين نظروا إليه بمنظار واحد، غير أن التتبع الدقيق للكلمة ومضامينها القرآنية يكشف عن تشكلات تنجلي من خلال التقسيم التالي:

4.1- **التمكين في الأرض**: ويكون منه إما التمكين العام الذي يستفيد منه كل المخلوقات: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعْ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (57) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (58)﴾ [القصص]، كما أنه يكون منه التمكين الذي أعده الله تعالى للأفراد، وهذا التمكين يحدث لأي فرد التزم شريعة الله تعالى وسار على هديها، فلا بد أن يمكِّنه الله تعالى من الأرض فيتبوأ منها ما يؤهله له عمله وتسخير الله له، مثل يوسف عليه السلام، فهذا الذي التزم الحق ما كان يظن أنه سيخرج من السجن، لكن صبر واحتسب ولم يغفل عن الدعوة لربه وللدين الحق؛ وكذا ذي القرنين، وغيرهم من الأفراد، كانوا من الأنبياء أو من الصالحين أو من غيرهم، ولا يخلو منهم وقت أبدا.

4.2- التمكين في الدين: وهو تمكين لم يستعرضه القرآن الكريم إلا في موطن واحد في الآية المركزية للموضوع، وهو وعد تحقق تمكينا، مخصوصا، فقد مكّن الله لنبيه محمد ﷺ دينه الذي ارتضاه له ولأمته من بعده إلى قيام الساعة، واستخلفه في أرضه تعالى من باب الاستخلاف الذي يقود إلى التعمير الإيجابي، وتكون النتيجة الغاية في الإنعام هي حصول الأمن في النفس، وحصول الأمان لإشاعة الدين من جهة، وتأمين الناس على أنفسهم ومللهم، وتلك صورة للتمكين الأوفى، الذي تحدث عنه القرآن الكريم على أنه وعد، والوعد لا بد له لكي يتحقق من شروط.

4.3- **التمكين فيهما معا**: فقد مكن الله نبيه محمدا ﷺ في الأرض فكانت له السلطة التي تسهم في تحقيق التمكين للدين، فطبقه تطبيقا عمليا حتى كان خلقه القرآن، وطبقه بين المسلمين وبين غيرهم، وتحقق الأمن والأمان.

5- **مراحل التمكين**:

5.1- **التمكين التاريخي**: تتبع التاريخ لا يمكنه أن يعطينا نماذج من حصول التمكين لكونه مصطلحا قرآنيا، والآية المركزية حددته، ومن ثمة فإنه لم يتم التمكين عبر التاريخ إلا في صورة واحدة، كانت لرسول الله محمد ﷺ، ابتداء من تأسيسه للدولة المسلمة في المدينة، لكن تحققه الإشعاعي بدأ من فتح مكة، لكون مكة هي المركز الذي تتجه إليه كل الأنظار. والتمكين التاريخي هو التمكين الذي صار تاريخا يرجع إليه معيارا للتقويم ومقياسا للاقتداء، ونموذجا يحتذى ويمكن تكراره في الحاضر وكذا في المستقبل.

5.2- **التمكين الجغرافي**: يصف نموذجا قد لا يكون حاملا لنفس الصورة التاريخية التي يرى الباحث أنه يستمدها من الآية المركزية للتمكين. وعلى هذا الأساس فإنه يمكن الإحالة للتمكين الذي تجسد في سيرة ذي القرنين، وكيف أنه تمكن من العالم كله. والتمييز بين التمكين التاريخي لنبي الإسلام والتمكين الجغرافي لذي القرنين، أن الأول كان بمجهود ابن آدم وطاقاته التي وضعها الله فيه، في حين أن التمكين الجغرافي فيه جوانب خص الله بها فردا أو نبيا، كما كان بالنسبة لذي القرنين: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (84)﴾ [الكهف]، إنه التمكين للملِك.

5.3- **التمكين المِللي**: إنه تمكين يتميز بين التمكينين السابقين، حيث يرتبط هذا التمكين بين التمكين للملك-النبي أو النبي-الملك، وهو ما حدث للنبيين-الملكين داود وابنه سليمان عليهما السلام، غير أن كلا من التمكينين الجغرافي والمِلّلي لا تنكشف عنهما الآية المركزية، فالتمكين الذي حدث للنبيين-الملكين كان فيه دعائم فوق الطاقة البشرية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)﴾ [سبأ].

وقفة مع التمكين لليهود من خلال القرآن الكريم: ذهب غير واحد من أن بني إسرائيل قد تحصلوا التمكين غير ما مرة، غير أن النظر في تاريخهم أنهم في عهد موسى عليه السلام لم يتحصلوه بل كان جزاؤهم التيه. وأما التمكين الذي كان في عهد داود وسليمان عليهما السلام فقد كان تمكينا لبني إسرائيل من خلال طبيعتهم المادية التي ترغب في قهر الآخرين بالقوة. ورغبتهم في قهر الآخرين كان عقابها: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165)

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167)﴾ [الأعراف]. وقد أنزل الله لهم كتبا فصلت لهم كل شيء تفصيلا دقيقا وعجيبا، ولنتتبع بعضا من ذلك، قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً (3) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (6) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (7)﴾ [الإسراء].

هل هو التمكين الثاني لأمة سيدنا محمد ﷺ حينها؟

الاهتمام بالشروط التي يقوم عليها: إن استدعاء الاهتمام بالشروط أمر يتيحه البحث: عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: "كيف أنتم إذا وقعت فيكم خَمسٌ، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تُدرِكوهن؛ ما ظهَرت الفاحشة في قوم قط يُعمل بها فيهم علانية إلا ظهَر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، وما منَع قوم الزكاة إلا مُنِعوا القَطْر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطَروا، وما بخَس قومٌ المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَور السلطان، ولا حَكَم أمراؤهم بغير ما أنزَل الله إلا سلَّط عليهم عدوهم، فاستنقَذوا بعض ما في أيديهم، وما عطَّلوا كتاب الله وسُنة نبيه إلا جعل الله بأسَهم بينهم"[59]. وقال ابن كثير في تفسيره للآية: "هذا وعْد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمةَ الناس والولاةَ عليهم، وبهم تَصلُح البلاد، وتَخضع لهم العباد، ولَيُبدلَنَّ بعد خوفهم من الناس أمنًا وحُكْمًا فيهم، وقد فعَل تبارك وتعالى ذلك، وله الحمد والمنة، فإنه لم يَمت رسول الله ﷺ حتى فتَح الله عليه مكة وخَيْبَرَ والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها"[60].

مراعاة الأسباب التي تسمح بحصوله أو تمنع من تحققه: والنظر في قضية التمكين يتطلب تفتيشا دقيقا، لكونه نتيجة وليست مقدمة. فما هي الأسباب التي تجعله ممكنا؟ وما هي المسببات التي تحول دون تحققه؟

لقد سبق تفصيلها، لكن هذه الوقفة نربطها بنقطة جوهرية تتمثل في تحقيق الإيمان، وبقاء هذا الإيمان متوهجا نقيا طاقيا يدفع المؤمنين لبذل مزيد من الجهد مخلصين في دعوتهم لتقريب فرصة تحصل التمكين، ولا يتأتى ذلك إلا بمحركات أساس:

1- تجديد النية ضمن تجديد الإيمان، ولا يحصل تجديد الإيمان إلا بتحقيق الشعور بأن المؤمن مأجور عن كل أفعاله وتصرفاته. وهذا الشعور لا بد أن يحيِّنه المؤمن باستمرار، فكل تصرف منه هو عبادة، وحين يدرك كونيته عبادة فإنه سيراعي الله فيها، ويقوم بها بكل إخلاص، وهذا شعور يغيب، أو يكاد يغيب عند الخاصة، فما بالك بالعامة.

2- لا يمكن لهذا الإيمان أن يستمر، ولهذا الشعور أن يتقوى إلا في مواطن تسعف في تقويته وتنميته، فلا بد من توفر الرفقة، التي تُذَكِّر بتجديد النية، باستمرار، بعد تحديدها في كل بداية.

3- الإحساس بالأمن، وتحسيس الناس به، فلعل الأمن قضية جوهرية ترتبط ارتباطا وثيقا بالإيمان، فالإيمان أمان، ولا يمكن للمؤمن أن يكتمل إيمانه ما دام لم يربط إيمانه بالأمن والأمان، ولعل تكرار النظر في سورة 'قريش' تنشط هذا الربط.

تسطير **الأهداف** التي يقصدها:

1- **أهداف التمكين الغائية**: التي سطرها القرآن؛ فلقد وردت آيتنا المركزية في سورة النور التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)﴾ [النور].

2- **أهداف التمكين الابتدائية الاستراتيجية**: التي يخطط لها أفراد الأمة الذين يطمحون لتحصيل التمكين، مع التخطيط الدقيق لتحديد السبيل لتنفيذها وتحقيقها، لأن تجسيدها يفيد تحصُّل التمكين.

المعوقات التي تحول دون تحققه أو تعرقل مسيرته أو تعطل حصوله:

1- **غياب العلم**: إذ العلم ضرورة لتحقيق التمكين، وأي فئة غلّبت جانب العلم سادت وتغلبت، حتى ولو لم تلتزم شريعة الله، دون أن يعني سوادها وسيادتها أنها تحصلت 'تمكين الله'؛ وأي فئة استهزأت بالعلم وحقرت العلماء تخلفت حتى ولو ادعت إيمانها بالله.

2- **الجهل بالشرع**: أخطر فرد على الجماعة هو الفرد الجاهل بما له وبما عليه؛ فكلما شاع في الناس جهل بحقيقة الشرع انحرفوا عن الحق، واستهتروا بكل شيء، ففي زمن الكورونا، تكون الخطورة بسبب جهل العديد من الناس بواجبهم، فيكونون من المعوقات لتحقق النجاة، ويكون الدَّخَل من جهتهم.

المقومات التي يتأسس عليها التمكين: لعله من أهم المقومات التي تسهم في التعجيل بالتمكين الوعي الكامل بالجزاء الذي يترتب على كل فعل: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً (123)﴾ [النساء].

منغصات التمكين: هي التي تعجل بزواله:

1- **شيوع الباطل**: إذ يحرم الناس حقوقهم، مما يقود للإحساس بالاغتراب وحلول الكره بين أفراد البلاد والأمة، وتغول الباطل يعجل بالخراب، حيث لا يكتفي بمداره الصغير الذي ابتدأ منه بل يتفرع بشكل سرطاني يسعى لتوريط كل الباقين فيه.

2- **الفهم المنحرف للشريعة**: حين يتحول الفرد من فهم لآخر ينحرف به عن مسيرته كأن ينظر إلى بعض الناس باحتقار لمخالفتهم الملة رغم أدائهم لواجبهم ضمن شروط الدولة، أو يفهم النصوص بحرفية تعطل عبادات أو تضيقها على الناس، معتبرا أن فهمه هو الفهم الصحيح والوحيد.

3- **تعطيل المفاهيم القرآنية**: وهذا بعض، له أهميته القصوى حيث تتحول المفاهيم الشرعية من دلالات إلى دلالات أخرى معكوسة، فيتحول العجز تسامحا، والكسل رضا بالقضاء، والكذب مهارة، والمكر يصير براعة في الإدارة، فتلك من أخطر المنغصات التي تعجل بزوال أي تمكين، دون أن يعني التعجيل فترة محددة في الزمان، فالمدة ليست تقديرية بل مرتبطة بمقاييس غيبية يدبرها الله تعالى.

4- **إلغاء القيم الشرعية الكونية**: وهي البعض الثاني، مرتبط بالذي قبله، فالمفاهيم مرتبطة بالقيم، ولا يمكن فهم القيم بدون فهم المفاهيم، لكون القيم تمتح من المفاهيم التي يؤصل الشرع أو يؤصلها واضعوا المفهوم بغية تحقيق أهداف محددة، فتسود القيم الضالة فيصير التفسخ حرية، والظلم قوة، والفساد ترويحا، وتتبدل القيم بقيم أخرى وتحل محلها ويقبلها الناس ويقبلون عليها ويدافعون عنها.

مثبتات التمكين:

1- **الوعي الكامل 'بمنظومة الأسباب' القرآنية**: إذ كل شيء يتم في هذا الكون يتطلب سببا ليتحول من الكمون إلى الظهور، فقد نظم الله تعالى هذا الكون وفق هذا الناموس، والتزم به هو نفسه ابتداء، حيث

يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73)﴾ [الأنعام].

2- **إذاعة الأمن**: إنه في حال حصول التمكين للأمة فاستمرار سيادته وثبات آثاره يتطلب أن يذاع الأمن بين كل الناس، إذ غياب الأمن هو أذان بقرب حلول زوال النعم وشيوع النقم، كما أن الأمن يكون سببا لحصول الإنتاج والإبداع والمساهمة الفعالة في تدوير عجلة الاقتصاد، وحركية الناس والمال، والأمن يكون في كل تجلياته، أمن غذائي وأمن مالي وأمن نفسي وأمن جسدي.

3- **الربط بين الإخلاص في النية والعزم، وبين القيام بالوسع وبذل الجهد**: فالمرء لن يسأل إلا عن مدى صفاء نيته وإخلاص عقيدته ونقاء إيمانه، ثم عن مدى قيامه بدوره وبذله لجهده وسعيه بكل طاقته وقوته، واستفراغ كل وقته لمهمته، هما عنصران، ولن يسأل عن نتيجة عمله إلا في حال حدوث العكس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (105)﴾ [المائدة].

4- **الثبات على الحق**: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (28)﴾ [الفتح]، والتزام شريعة الحق تثمر باستمرار، وأي انحراف عنها انحرافا متواصلا مع استمراء نتائج الانحراف تقود لزوال التمكين.

تحقق ذلك لتكون المجتمعات الإسلامية ممكَّنَة: إن أي مدلول يتحقق فيه الصلاح يكون في سبيل تحقيق المقصود وتحصل التمكين في الأرض والدين وشيوع الأمن.

من سنة الابتلاء إلى سنة التمكين: فالابتلاء هو المعيار الوحيد للوقوف على نقاء الذهب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾ [البقرة]. ولعلنا نبتلى في هذه الأيام بشيء من الخوف، ولكنه فعلا خوف حقيقي، وخطير، ويتبعه بالضرورة باقي صور الابتلاء، فهي مترابطة يوصل بعضها لبعض لترابطها اقتصاديا وماليا، وينظر الله تعالى مدى قدرتنا على التحمل والصبر والالتجاء إليه.

ولقد بدأ التمكين الفعلي لرسول الله ﷺ يوم أن دخل مكة المكرمة منصورا ولكن يكاد رأسه يصل رحل ناقته تواضعا لله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً (27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (28) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (29)﴾ [الفتح]، إن قمة التمكين حدوث 'الأمن' التام والكامل[61].

إنه من القدر انتظار جيل التمكين، فليس كل مؤمن مؤهل لتلك المزية الربانية التي لا تتحصل إلا بالجهاد بكل صنوفه: إن الله قد وعد من المؤمنين فئة، وليس كل المؤمنين موعودين بالتمكين وحصوله، بل كما رأينا، يمكن أن يموت الجيل الصادق بدون تمكين، إنه التمكين للبعض وليس للكل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النور:55].

فهل من فائدة للعنوان الذي تم تصدير المقال به؟

التمكين بسبب الكورونا: إن هذا البلاء قد 'أمكن' البلاد الإسلامية من فرصة تاريخية ليس من السهل تكررها بسرعة، حيث إن كل العالم، بما فيه القوى المسيطرة على مقدرات العالم، والقوى الشريرة التي لا تفتأ تخطط وتتآمر من أجل إبقاء البلاد الإسلامية في مؤخرة التصنيف العالمي لتبقى دائما تابعة. فهذه فرصة مواتية لتنتبه لمقدراتها وقدرات أفرادها وبداية 'انطلاقة صناعية وفلاحية'، اقتصادية جامعة. فقد تبينت أن أغلب الأطباء الموجودين على قمة هرم المؤسسات الطبية في العالم كله هي كفاءات إسلامية، نشاهدها يوميا على شاشات القنوات كيف تتحدث بكفاءة عالية. كما أن أغلب البلاد العربية بدأت تخترع آليات طبية مفيدة في هذا لوضع وتفيد مستقبلا، فتفتح لها الأبواب، وإن فرصة كورونا، مهما امتدت، وكانت خسائرها كبيرة، فهي في طيها نعمة ربانية للدول الإسلامية لتنفك من تخلفها، فقوى الشر لا تفتأ تخطط لتوحيلها في ديون لا تنفك منها إلا بإعادة استعمارها كلية، فاليوم، واليوم، وليس غدا، الفرصة مواتية لتحصل التمكين بالتوجه إلى الله، ثم توحيده وحده فلا شريك له في زمن تعددت فيه الشركاء له، فلا بد من الرجوع إليه، واحترام قدرات الناس وتوظيف كل فرد في المكان المناسب له وتشجيع مختلف الأنشطة، قيقينا، لن ينقضي إلا زمن يسير، ويحل التمكين الرباني للمسلمين في الأرض من جديد لإشاعة العدل بين الناس في كل مكان من العالم، وإشاعة الأمن والأمان والتسامح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ (37) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (38)﴾[الأنفال]؛ ولتنظر إلى روعة هذا الإسلام، ورحمة هذا الرب: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15)﴾ [الجاثية]؛ فالحمد لله على نعمة الإسلام، ومعرفة هذا الرب الكريم.

خاتمة:

حتى لا يكون كلامنا غير مؤسس ولا هادف فإنه أصبح من اللازم تجاوز حال الوصف إلى درجة المبادرة إلى الفعل، والاقتراح للعديد من الحلول المسعفة في تجاوز الوضع وتلافي القعود في الخلل. وتشخيص وضع الأمة الإسلامية معلوم للعام والخاص، ولم يعد مجديا الاكتفاء بوصف هذه الوضعية، بل لا بد من الانتقال لوصف إمكانية الانفلات من التردي والانطلاق إلى تحقيق الشهود الحضاري من خلال عملية إقلاعية حضارية صحيحة تتميز بالفعالية المستمرة والتنافس الشريف والاحتكاك المنتج.

والقاعدة التي يمكن الخلوص إليها: إن فرصة التمكين سهلة، فلم يطلب الله من عباده مستحيلا...

والذي تبين أن الأمة تطلب التمكين ولا تبذل في سبيله شيئا، وهذا لا ينبئ عن فكر اقتصادي ولا تجاري، فليس هناك شيء بالمجان إطلاقا، فلبلوغ الغاية لا بد من بذل الغاية.

وبعيدا عن سياسة التهويل أو التهوين، ولا حتى فكر التيئيس، فاليقين المتيقن منه أن التمكين ممكن، في أي وقت، ومع أي فرصة، شريطة الوعي بأن النتائج لا بد لها من مقدمات ممهدات، لكن الفكر الاقتصادي يعلمنا بضرورة تصيد الفرص.

إننا نريد أن نستثمر وباء كورونا للالتفات إلى الذات وإعادة اكتشافها والتحقق من قدراتها منفردة ومجتمعة، فالزمن لن يستمر، فالأيام متداولة بتقدير الله، ومن ثمة صار لزاما البحث الجدي عن سبل التحرر الفكري أولا، ليتحقق بعده سائر صنوف التحرر المنشودة. ولا يمكن لذلك أن يتحقق إلا حين نعي أنه صار

من الواجب الانتقال من التنظير إلى الفعل، والفعل يتطلب إدراك ضرورة التحصل على فكر التجريب والتطبيق والمحاولة المتكررة والتعلم من الخطأ على حد النظرية الجشطلتية في التربية والتعليم.

وقد تبين من الدراسة وصف جدي للحالة الواقعة وإن بنظرة موجزة، إذ ليست هي المستهدف، بل تصوير تطبيقي واقتراح حلول لتحصيل التمكين وتحقيق وعد الله تعالى. وإن بعض المحتويات لا تحتاج لكثير توصيف، فهي من المفهوم بالأصالة مما استدعى تجلية أساليب الانعتاق في الممارسات العملية وليس في التنظير الذي قد يأتي وقد لا يتأتى مجيئه. وقد كان القرآن الكريم هو السند الأساس والوحيد في الفهم عنه والتفهيم منه، إذ هو أداة النجاة الأساس. والقرآن قد ربط بين جملة من المفاهيم المتكاملة، ولا يمكن فهمها أحدها في غياب الآخر: ربط بين مفهوم التمكين ومفهومي الاستخلاف والاستعمار. ولا يمكن أن يحدث تمكين في غياب استخلاف، أي الوعي بأن مهمة الإنسان في الأرض خلافة الله في أرضه وليس التحكم في أرضه، والاستخلاف يعني الاستماع لتوجيهات المستخلِف؛ كما يرتبط بهما مفهوم الاستعمار، أي التعمير الإيجابي وليس التدمير الذي انكشف في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (42) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (43) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (45)﴾ [الروم][62]. وهذه المفاهيم الثلاث لا تستقيم بمعزل عن مفهوم يجمعها ويكون الرابط بينها كلها وهو مفهوم 'الإصلاح'، وهذا الإصلاح لا بد أن يكون إصلاحا مستمرا، ولا يكفي فيه التميز بالصلاح الذاتي، بل لا بد من الإصلاح بعد الصلاح.

"إن المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن هي مشكلة الحضارة"، على حد قول مالك بن نبي[63]، ومن هذا المنطلق أصبح من اللازم التفكير في هذا المعطى. فالتأثير الثقافي والحضاري خطير يتبين من خلال الواقع حين أدركت الأمة الإسلامية تفوق الغرب حال الاحتكاك به مع بداية الفترة الاستعمارية، وهو ما عبر عنه بن نبي بالقابلية للاستعمار. وللخروج من هذا المأزق لا بد من استحضار فكري[64] من الضعف إلى القوة. وأول سبيل لذلك هو تصحيح المفاهيم[65] ليسهل بذلك تصحيح القيم.

وحتى يكون لأي تنمية نتيجة ودورا في عملية التطوير لا بد من 'تصحيح الأفكار'، لأنها هي التي تبني الفرد وتشكله وفقها مع تجديدها باستمرار وتقويمها وتعديلها بما يتناسب وظروف العمل والبيئة والأفراد، لأن الأفكار المنحرفة أو المحرفة لا تقل خطورة عن الجراثيم والمكروبات والفيروسات المعدية؛ يقول مالك بن نبي: "وغنى المجتمع لا يقاس بكمية ما يملك من أشياء بل بمقدار ما فيه من أفكار"[66]. وهذا يتطلب بناء الأفراد قبل العمران والمعمار، وذلك بتأهيله حتى يكون قادرا على الوعي، أولا، ثم الوعي بضرورة التفعيل الحضاري؛ فما أكثر الإمكانيات المالية والطاقية التي يتوفر عليها دون العالمين أو أكثر منهم، ولكن مع ذلك لا زالت في أسفل سافلين. فالفكرة ومنتجها هي الثمن وليس قيمة الشيء المملوك وثمنه[67]؛ وبيل غيتس نموذج واضح، فهو من أغنى أغنياء العالم، ولا يمتلك مصدرا من مصادر الطاقة، بل ما يمتلكه هو 'فكره وفكر الذين يعملون معه'.

إن وعد الله في التمكين لا يتخلف وينجلي حال توفر شروطه، من جهة، ووعي الفئة التي تنتظره بسنن تحققه. ويتوقع الباحث أن يكون وقوع العالم الإسلامي في جائحة كورونا دافعا لأفراده كي يعودوا إلى ربهم ويطلبوا عونه وهدايته، ويجتهدوا في بناء ذواتهم من جديد لكي يعيد تجانسه مع الكون.

النتائج:

1- إن التمكين للأفراد لا ينقطع أبدا.

2- التمكين للمجتمعات ممكنة تمهيدا للتمكين للأمة.

3- التمكين للأمة الإسلامية يتطلب توفر شروط حدده القرآن الكريم.

4- تتبع التاريخ ومقارنته بما ورد في القرآن الكريم يكشف عن تحقق التمكين الرباني للمؤمنين والتمكين الاستدراجي لغير الفئة المؤمنة.

5- شروط التمكين وأسبابه وضوابطه سهلة وممكنة للأمة في أي وقت قررت تحقيقها.

المقترحات:

1- إعادة النظر في دلالة مفهوم التمكين في القرآن الكريم وتحفيز الناس على تحقيقه بناء على تيسير بعيدا عن كل تعقيد وتصعيب.

2- إعداد مناهج في التعليم بشكل يستجيب لحاجات الفرد والجماعة.

3- استنبات التجارب وليس نقلها واستنساخ أدائها؛ فلكل طين مزروعاته، وإن منها ما لا ينبت شجره إلا في موطن واحد ووحيد(68). ولكل مجتمع بيئته الخاصة.

4- تبيئة التعليم بناء على حاجت المجتمع وحاجات أفراده، وليس بناء على اقتراحات مزاجية أو وفق حاجات الغير.

5- التركيز على التعليم التجريبي والأنشطة التطبيقية وتجاوز المستوى التنظيري أو البقاء في إطار المعرفة النظرية التي لا تنتج أثرا في الواقع.

6- ربط التعليم بالتربية وبنائه على تعليم يربط المفهوم بالقيمة.

7- تجاوز نقل المعرفة من الغرب والسعي للحصول على التقنية وتأهيل الفرد من أجل حسن توظيفها والاشتغال عليها والإنتاج بها بل السعي للإبداع التقني، وخصوصا في ظرف مثل زمن الكورونا.

8- تعليم المتعلمين النظر الذي يعتمد على الكل بدل البحث في الجزئي حتى تكتمل النظرة، وحينها يمكن حل الجزئيات تباعا.

9- تكوين الأفراد على حل المشكلات من أجل اكتساب بنك من الحلول التي يمكن توظيفها في حينها ومكانها المناسبين.

10- تكوين المجتمع على تبادل المنافع وتكامل الإنجازات وتوقف الواحد على الآخرين حتى لا يتم إعادة إنتاج نفس العناصر والمكونات المجتمعية التي تحسب أنها هي وحدها مدار الكل.

11- تكوين الأفراد في عملية بنائية مستمرة على السعي من أجل الوصول إلى الاتفاق على المشترك قبل التصارع على المختلف حوله، بغية تحقيق التوافق قبل ابتغاء الاتفاق، وذلك من أجل بناء أفراد متفاعلين اجتماعيا، متماسكين من أجل الحفاظ على النظام القائم على القيم السليمة والنبيلة.

12- تعليم المتعلمين ضرورة ربط الحق بالواجب، وربط الواجب بالمحاسبة حتى يحترم كل فرد مسؤولياته كيفما كانت درجتها.

13- ترجمة المناهج في فعاليات معرفية ومنهجية وتطبيقية في التحسيس، عمليا، تعطي الأسبقية للرأسمال الاجتماعي البشري على الرأسمال المالي.

وللحصول على شرف الشهود الحضاري لا بد من أن تدرك جسامة هذا الشرف-المهمة. ولا يتأتى ذلك إلا بتوفر الشعور بمهمة الاستخلاف في الأرض، ومن ثمة الوعي بمبدأ التسخير؛ التسخير في شموليته، حيث تتبادل المنافع بين الفرد والكون، من غير تدمير.

قائمة المصادر والمراجع:

1- BBC news عربي، بعنوان: كيف يستقبل المسلمون ثاني رمضان في ظل الكورونا، بتوقيع المجلة، بتاريخ 2021/04/13م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/30م.

2- أحمد إبراهيم سلمى أرناؤوط: تمكين المعلمين وظيفيًا وعلاقته بدرجة الإقبال على شغل الوظائف الإدارية بالمدارس الثانوية العامة بشمال سيناء دراسة حالة، مجلة الإدارة التربوية، العدد الخامس والعشرون، يناير 2020م، (ص ص209-352).

3- أحمد بن حنبل الشيباني: المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وآخرين، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421ه، 2001م.

4- أحمد بن فارس بن زكريا (ت395ه): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.

5- إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419ه، 1998م.

6- أغادير سالم العيدروس: اعتماد التمكين المستخلص من الفكر الإداري الإسلامي كاستراتيجية للتطوير الإداري: دراسة ميدانية على وزارة التعليم السعودية، المجلة العربية للإدارة، مجلد 38، عدد 2، يونيو)حزيران18(20.

7- أوعقى حميد: واقع الأمة.. بين أمجاد الماضي ومآسي الحاضر، منشور بمدونات موقع الجزيرة القطرية، بتاريخ 2018/03/24م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/01م.

8- جلال فيروز: النظرية القرآنية لإدارة الأزمات، بحث ألقي في مؤسسة الأبرار الإسلامية يوم الخميس 13 ديسمبر 2019.

9- جمال الدين الشيال: الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي، مؤسسة هنداوي 2017/01/26م.

10- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، 1432هـ،2003م.

11- صبري محمد خليل خيري، الموقع الرسمي للدكتور صبري محمد خليل خيري، بتاريخ 2020/05/17، بتصرف.

12- عادل زيتون: الحضارة العربية الإسلامية.. قراءة في قصة التدهور والانحطاط، مقال منشور بموقع مجلة العربي الكويتية، منشور بتاريخ أبريل 2009م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/05م.

13- عارف حسونة، في ظلال رمضان: دعوى سد باب الاجتهاد ومخاطرها، تم نشره في السبت 29 أغسطس، 2009م، بجريدة الدستور الإلكترونية، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/05م.

14- عبد الحق بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الأولى، 1436ه، 2015م.

15- عثمان أمكور: لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟.. الجزيرة نت تحاور المفكر أحمد ت. كورو حول العلماء والتجار والحضارة، مقال منشور بموقع الجزيرة القطرية بتاريخ 2020/12/14م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/05م).

16- علي بن بخيت الزهراني: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، جامعة أم القرى، 1415/01/19ه، بدون تاريخ، بدون طبعة، بدون دار نشر.

17- علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403ه، 1983م.

18- مالك بن نبي: فكرة كومنويلث إسلامي، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، 1421ه، 2000م.

19- مالك بن نبي: مجلة المعرفة التونسية وصية مالك بن نبي، عدد 8، السنة الثانية، 1395ه، 1975م.

20- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ودمشق، الطبعة الثالثة، 1406ه، 1986م.

21- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، طبعة 1423ه، 2002م.

22- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، سورية، ط4، 1404هـ، 1984م.

23- محمد اشتاتو: فيروس كورونا في المغرب: التبعات الاقتصادية والاجتماعية، منشور بموقع FIKRA FORUM، بتاريخ 2020/04/23م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/30م.

24- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر، سنة 1969م.

25- محمد أمحزون: قراءة في تخلف العالم العربي في العصر الحديث (1-2) مظاهر التخلف، منشور بموقع ناصحون، بتاريخ: 2021/02/13م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/02م.
26- محمد باقر الحكيم: علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، عدد22، الطبعة الرابعة، ب.ت.
27- محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي والسنن التاريخية وعناصر المجتمع في القرآن الكريم، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1434هـ، 2013م.
28- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، وصيدا، الطبعة الخامسة.
29- محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق،1432هـ، 2002م.
30- محمد بن جرير بن يزيد الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420ه، 2000م، حواشي أحمد ومحمود شاكر.
31- محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1422ه، 2002م.
32- محمد بن مكرم بن علي ابن منظور: لسان العرب، الحواشي لليلجزي وآخرون، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
33- محمد علي الصلابي: فقه النص والتمكين في القرآن الكريم، أنواعه، شروطه، أسبابه، مراحله، وأهدافه، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ب.ت..
34- محمد علي الصلابي: كيف تعامل المسلمون مع الأوبئة وآثارها في مراحل تاريخهم، نشر بموقع الجزيرة القطرية، بتاريخ 2020/03/19م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/30م.
35- محمد عمر الزعبي، وآخر: أثر التمكين الإداري في تحسين الأداء التنظيمي: دراسة حالة لشركة الاتصالات الأردنية (أورانج)، المجلة العربية للإدارة، مجلد 39 ، عدد 3، سبتمبر) أيلول (20، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية،2019 م.
36- محمد قطب: واقعنا المعاصر، دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1418ه، 1998م.
37- محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، مكتبة المعارف، 1415ه، 1995م.
38- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، ب.ت، ب.ط.
39- مرام سالم: كورونا يحرك عجلة الابتكارات والاكتشافات في العالم ودول عربية، مقال منشور بموقع DW الألمانية، بتاريخ 2020/04/18م؛ وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/30م. وبنفس الموقع مقال منشور بتاريخ 2020/12/21م، سابق لنفس الباحثة، تحت عنوان: من المعاناة يولد الإبداع.. اختراعات ومبادرات عربية لمواجهة كورونا.
40- مسلم بن الحجاج النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله ﷺ (الصحيح)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت، ب.ط.
41- مصطفى مسلم، وآخرون: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات القرآنية والبحث العلمي، جامعة الشارقة، 1431هـ، 2010م.
42- منال بن قسيمة: المناهج النقدية الأدبية 'قراءة في كتاب الفكر النقدي الأدبي المعاصر لحميد لحمداني'، بحث لنيل ماستر في النقد العربي الحديث، من كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، تحت إشراف الدكتور إبراهيم زلافي، 2016-2017م.

الهوامش:

[1]- الطالبة منال بن قسيمة: المناهج النقدية الأدبية 'قراءة في كتاب الفكر النقدي الأدبي المعاصر لحميد لحمداني'، بحث لنيل ماستر في النقد العربي الحديث، من كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، تحت إشراف الدكتور إبراهيم زلافي، 2016-2017م.

[2]- من مثل: الدكتورة أغادير سالم العيدروس: اعتماد التمكين المستخلص من الفكر الإداري الإسلامي كاستراتيجية للتطوير الإداري: دراسة ميدانية على وزارة التعليم السعودية، المجلة العربية للإدارة، مجلد 38، عدد 2، يونيو (حزيران –يونيو 2018م)، حيث عرفت التمكين بقولها: "ومما سبق نستخلص أن التمكين الإداري هو امتلاك قدر من القوة وحيازة شيء من السلطة والنفوذ، وتأييد الرؤساء والعملاء والزملاء، لأداء التكاليف بأسرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص ولا

اختلال ولا تفريط" (ص ص: 43-65)، ص48. وعليه، فهذا التمكين ليس مقصودا من الدراسة وإن كان فيه بعض من مضامينه.

[3]- الدكتور محمد عمر الزعبي، والدكتور أحمد صالح الهزايمة: أثر التمكين الإداري في تحسين الأداء التنظيمي: دراسة حالة لشركة الاتصالات الأردنية (أورانج)، المجلة العربية للإدارة، مجلد 39 ، عدد 3، سبتمبر (أيلول 20)، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية،2019 م، (ص ص 81 -94)، وقد قربا مفهوم التمكين كما هو متداول في مجال الاقتصاد الإداري: "يسمح التمكين للعاملين بالمشاركة في المعلومات، وفي التدريب والتنمية، والتخطيط والرقابة على مهام وظائفهم، بغية الوصول إلى النتائج الإيجابية في العمل، وتحقيق الأهداف الفردية والتنظيمية"، ص82، وهذا الفهم هو الآخر هو من مستجدات الفهم، وليس مقصودا بمعناه وإن كان بعض محتواه متضَمَّنا.

[4]- الدكتور أحمد إبراهيم سلمى أرناؤوط: تمكين المعلمين وظيفيًا وعلاقته بدرجة الإقبال على شغل الوظائف الإدارية بالمدارس الثانوية العامة بشمال سيناء دراسة حالة، مجلة الإدارة التربوية، العدد الخامس والعشرون، يناير 2020م، (ص ص209-352). وقد ربط التمكين بالمجال الوظيفي في الميدان التعليمي، بالخصوص.

[5]- الدكتور محمد علي الصلابي: فقه النص والتمكين في القرآن الكريم، أنواعه، شروطه، أسبابه، مراحله، وأهدافه، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ب.ت.، ص7.

[6]- وهي سورة وسمها باسم يوسف عليه السلام، وورود التمكين فيها علامة على تحقيق التمكين لمن استوفى شروطه، فقد تم التمكين لهذا النبي حتى في ظل مجتمع لم يؤمن بعد، فأثر الصدق في الالتزام حصول التمكين الفردي ليلحقه التمكين للأمة.

[7]- الدكتور مصطفى مسلم، وآخرون: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات القرآنية والبحث العلمي، جامعة الشارقة، 1431هـ، 2010م، ص 561.

[8]- محمد بن أبي بكر الرازي (ت666هـ): مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، وصيدا، الطبعة الخامسة، ص 635.

[9]- محمد بن مكرم بن علي ابن منظور (ت711هـ): لسان العرب، الحواشي لليلجزي وآخرون، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج13، فصل النون، باب مكن ص414.

[10]- من موقع الدكتور صبري محمد خليل خيري، بتاريخ 2020/05/17، بتصرف.

[11]- قد لا يكون مستساغا الحديث عن أهداف التمكين، إلا من كونه تسخيرا إلهيا لغاية أسمى، تَم تسطيرها أصلا في النص، غير أن الفئة التي تستهدف التحصُّل على التمكين أن تكون لها غايات من بعد الوصول إليه، وليس من ورائه، فهو تمكين من الله وليس تحصيلا بالذات ولا يتوقف على الرغبة ولا يتم بسبب الحاجة.

[12]- أحمد بن فارس بن زكريا (ت395ه): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م، 22/3، و23، [بَابُ الزَّاءِ وَالْمِيمِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا].

[13]- أخرجه مسلم: في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، ح رقم 99 (2014)، وقال فؤاد عبد الباقي: قالوا والوباء مرض عام يفضي إلى الموت غالبا.

[14]- حديث رقم (2014)، شرح محمد فؤاد عبد الباقي: (يتقون ذلك) أي يتوقعونه ويخافونه. أقول: غير أن أعاجم اليوم لم يعودوا يعرفون ذلك، وزاد جهلهم على تغافلنا، فكان الذي كان، بل إن هناك معرفة للعامة ببلادنا المغرب من يهتمون بالمنازل الفلكية يتحدثون عن كون تلك الليلة قد تكون بين 10 دجنبر و14 منه، والله أعلم.

[15]- أخرجه مسلم: في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، حديث رقم 97 (2012).

[16]- الدكتور مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (م.س)، ص 457.

[17]- مرام سالم: كورونا يحرك عجلة الابتكارات والاكتشافات في العالم ودول عربية، مقال منشور بموقع DW الألمانية، بتاريخ 2020/04/18م؛ وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/30م. وبنفس الموقع مقال منشور بتاريخ 2020/12/21م، سابق لنفس الباحثة، تحت عنوان: من المعاناة يولد الإبداع... اختراعات ومبادرات عربية لمواجهة كورونا.

[18]- تم نشر مقال، بموقع BBC news عربي، بعنوان: كيف يستقبل المسلمون ثاني رمضان في ظل الكورونا، بتوقيع المجلة، بتاريخ 2021/04/13م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/30م، ومن أهم ما ورد فيه، في فقرة 'مبادرات وبدائل': "وفي ظل القيود التي فرضتها الجائحة، فإن هيئات خيرية وبنوك طعام في مصر والعديد من الدول العربية، نشطت منذ رمضان الماضي في العمل على بدائل لتوفير الطعام للمحتاجين".

[19]- أي الطاعون، ويقاس عليه مختلف الجوائح والأوبئة.

[20]- الدكتور علي الصلابي: كيف تعامل المسلمون مع الأوبئة وآثارها في مراحل تاريخهم، نشر بموقع الجزيرة القطرية، بتاريخ 2020/03/19م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/30م. والحديث متفق عليه، وعند البخاري، عن أسامة بن

زيد رضي الله عنه، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم الحديث 5728، دار ابن كثير، دمشق،1432هـ، 2002م، وعند مسلم، ح2218.

[21]- محمد اشتاتو: فيروس كورونا في المغرب: التبعات الاقتصادية والاجتماعية، منشور بموقع FIKRA FORUM، بتاريخ 2020/04/23م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/30م.

[22]- الدكتور جلال فيروز: النظرية القرآنية لإدارة الأزمات، بحث القي في مؤسسة الأبرار الإسلامية يوم الخميس 13 ديسمبر 2019.

[23]- محمد باقر الحكيم: علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، عدد22، الطبعة الرابعة، ب.ت.، ص343؛ ومثله عند محمد باقر الصدر، في: المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي والسنن التاريخية وعناصر المجتمع في القرآن الكريم، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1434هـ، 2013م، محاضرات محمد باقر الصدر، الدرس الثاني، ص29.

[24]- ورد ضمن آياتها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)﴾.

[25]- الدكتور مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (م.س)، ص 165.

[26]- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، 282/9، 283.

[27]- الدكتور محمد علي الصلابي: فقه النص والتمكين في القرآن الكريم، أنواعه، شروطه، أسبابه، مراحله، وأهدافه، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ب.ت، ص 5و6.

[28]- الدكتور محمد علي الصلابي: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، (م.س)، ص 7.

[29]- ورود هذه الآيات في سورة تم وسمها باسم 'الأعراف'، كناية عن كون تلك النصوص كأنها في مكان مرتفع يراه كل أحد إلا من رفض.

[30]- محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت310ه): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420ه، 2000م، حواشي أحمد ومحمود شاكر، ج11، ص63.

[31]- الدكتور مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي، (م.س)، ص15، ووجب التنبيه إلى أن هذه النسخة مجموع فيها جميع الأجزاء.

[32]- الدكتور مصطفى مسلم، وأخرون: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (م.س)، ص 534.

[33]- الدكتور مصطفى مسلم، وأخرون: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (م.س.)، ص 102.

[34]- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر، سنة 1969، 284/18.

[35]- سيد قطب: في ظلال القرآن، 2674/5.

[36]- عبد الحق بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الأولى، 1436ه، 2015م، 444/4.

[37]- كما وردت في المعاجم اللغوية.

[38]- كما وردت في سياق ذي معنى محدد ومقصود.

[39]- حين اعتبرها القرآن دلالة محددة تحمل مضامين تتكرر في عديد من سوره.

[40]- حين تتحول الدلالة إلى كيان كلي يستغرق معاني يمكنها أن تحمل نظريات دقيقة تربط بين الواقع المعيش حسب اختلاف الأزمنة ودلالة تتشكل بحسب الأفهام المتجددة في إطار قاعدة ثابتة.

[41]- الدكتور محمد علي الصلابي: فقه النص والتمكين في القرآن الكريم، أنواعه، شروطه، أسبابه، مراحله، وأهدافه، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ب.ت، (م.س)، ص 71.

[42]- عرفها علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت816ه): "أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقت فَوَقْتا، إلى أقصى عمره للابتدال بالبلاء والعذاب؛ وقيل: الإهانة بالنظر إلى المآل؛ والاستدراج: هو أن تكون بعيدا من رحمة الله تعالى، وقريبا من العذاب تدريجا؛ والاستدراج: الدنو إلى عذاب الله بالإمهال قليلا قليلا؛ والاستدراج: أن يرفعه الشيطان درجة إلى مكان عال، ثم يسقط من ذلك المكان حتى يهلك هلاكا؛ والاستدراج: هو أن يقرب الله العبد إلى العذاب والشدة والبلاء في يوم الحساب، كما حُكي عن فرعون لما سأل الله تعالى قبل حاجته للابتلاء بالعذاب والبلاء في الآخرة"؛ التعريفات، تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403ه، 1983م، باب الألف مع السين، المصطلحات: 123 إلى 127، ص20.

[43]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، سورية، ط4، 1404هـ، 1984م، ص:92

[44]- ذهب الصلابي للقول في التمكين، من كتابه فقه النصر والتمكين، ص 124: "لقد كان ذو القرنين على علم بأخبار الغيب التي جاءت به الشرائع، ومع ذلك لم يتخذ من الأقدار تكأة لتبرير القعود والهوان، فقد بنى السد وبذل فيه الجهد، مع علمه

بأن له أجلاً سوف ينهدم فيه لا يعلمه إلا الله". أقول: هذا ليس من علم الغيب، بل من اليقين، فالدك حاصل، إن بزوال الردم بفعل من الأفعال، فالعلماء يقدرون لكل بناء أو صناعة 'عمرا مفترضا'؛ أو بزلزلة يوم القيامة، وكلاهما ضمن وعد الله.

[45]- لعله كان مدركا للعديد من العلوم والمعارف، دون أن نغفل أنه بالإمكان أن يكون له فريق عمل يساعده في تدقيق تلك المعارف والاستنجاد بها: من جغرافيا حيث كان ملما بمناطق عديدة من العالم، وملما بالصناعة الحديدية وعلم الفيزياء والكيمياء، وغيرها من العلوم الحقة والشرعية، ولعله كان بحارا فما كان بمقدوره أن يقطع كل هذه الفيافي دون ركوب البحر، فلا بد أن يكون له خبرة في صناعة السفن الضخمة العابرة للقارات الحاملة للجنود...

[46]- يذهب الدكتور محمد الصلابي للقول في كتابه فقه النصر والتمكين: "يبدأ العصر الذهبي لبني إسرائيل مع ظهور داود عليه السلام في القتال عندما أكرمه الله تعالى بقتل جالوت،... شدّ ملكه بالتسبيح والذكر والطاعة،.. بالعشي والإشراق: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾؛ فوهبه الله هبة عظمى ذكرها في كتابه عَزَّ وجل: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾، أي جعلنا له ملكًا كاملاً من جميع الملوك العظماء، بحيث لا يتمكن منه أعداؤه لكثرة جيوشه، وكثافة حراسه التي قيل إنهم كانوا ألوفًا كثيرة يتناوبون في حراسته، ولم ينكسر له جيش في معركة أبدًا، فقد كان مؤيدًا بعون الله ونصره، [ص:18]. أقول: فالأمر يتكشف عن كون القوة كانت سبيلا للتمكين قبل غيره من الضوابط الشرعية التي وردت في القرآن الكريم، في الآية المرجعية.

[47]- عام 583هـ كان عام استعادة القدس من يد الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي، ومعركة الزلاقة عام 479هـ بقيادة يوسف بن تاشفين قائد دولة المرابطين، بالمغرب الأقصى، و(عثمان أمكور: لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟... الجزيرة نت تحاور المفكر أحمد ت. كورو حول العلماء والتجار والحضارة، مقال منشور بموقع الجزيرة القطرية بتاريخ 2020/12/14م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/05م). وقد عرض أهم ما يمكن أن يتقاطع مع مذهب الباحث في كتابه: 'الإسلام، السلطوية والتأخر: مقارنة عالمية وتاريخية'، حيث يقول في هذا الحوار: "في بدايات التاريخ الإسلامي، كان للعالم الإسلامي طبقات برجوازية وفكرية متفاعلة. في ذلك الوقت كان علماء الإسلام يتمتعون باستقلال في الغالب عن سلطة الدولة. ولكن بعد منتصف القرن الحادي عشر (الميلادي=الرابع الهجري)، بدأ التحالف بين العلماء وسلطة الدولة في الظهور. قام تحالف العلماء-الدولة بتهميش المثقفين والتجار تدريجيا في القرون التالية".

[48]- الدكتور محمد الصلابي: فقه النصر والتمكين، ص43.

[49]- أوعقى حميد: واقع الأمة... بين أمجاد الماضي ومآسي الحاضر، منشور بمدونات موقع الجزيرة القطرية، بتاريخ 2018/03/24م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/01م.

[50]- أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ثوبان، رضي الله عنه، تتمة مسند الأنصار، ح22397، وغيره؛ (صحيح، صححه الألباني، صحيح الجامع، رقم 8183).

[51]- علي بن بخيت الزهراني: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، وأصله رسالة جامعية، في العقيدة بجامعة أم القرى بتاريخ 1415/01/19ه، بدون تاريخ، بدون طبعة، بدون دار نشر، 12/2، 34.

[52]- علي الزهراني: الانحرافات في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، (م.س)، 437/1-564. ويمكن الرجوع إلى الأستاذ الدكتور محمد أمحزون: قراءة في تخلف العالم العربي في العصر الحديث (1-2) مظاهر التخلف، منشور بموقع ناصحون، بتاريخ: 2021/02/13م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/02م.

[53]- محمد قطب: واقعنا المعاصر، دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1418ه، 1998م، ص 176.

[54]- عادل زيتون: الحضارة العربية الإسلامية... قراءة في قصة التدهور والانحطاط، مقال منشور بموقع مجلة العربي الكويتية، منشور بتاريخ أبريل 2009م، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/05م، حيث يقول: "ما أصاب العالم العربي الإسلامي من تمزّق في وحدته السياسية، إذ حلّت الكثرة محل الوحدة، وقامت على أنقاض الدولة الواحدة ممالك ودول عدة، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فإذا كانت سلطة الخليفة في العصر الأموي قد امتدت من الأندلس غرباً إلى سمرقند شرقاً، فإن هذه السلطة لم تعد تتجاوز في القرن الأخير من التاريخ العباسي (السابع للهجرة) (الثالث عشر للميلاد) مدينة بغداد وضواحيها. ولقد تعزز هذا الانقسام السياسي بتمزق الوحدة الدينية، إذ أخذ يتنافس على زعامة المسلمين، منذ القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) ثلاثة خلفاء: عباسي في بغداد وأموي في قرطبة، وفاطمي في القاهرة. ولاشك في أن هذه الانقسامات جميعاً، أدت إلى اندلاع الحروب بين القوى الإسلامية، ودفع المسلمون عامة الثمن غالياً من أرواحهم واقتصادهم ومدنيتهم". وأما فيما يتعلق بتاريخ سد باب الاجتهاد، يقول الدكتور عارف حسونة، في ظلال رمضان: دعوى سد باب الاجتهاد ومخاطرها، تم نشره في السبت 29 آب/ أغسطس، 2009م. 03:00 مساءً، بجريدة الدستور الإلكترونية، وتمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/02/05م: "هذا وقد اختلفوا، على هذه الدعوى، متى انسد باب الاجتهاد، فقد قال ابن القيم رحمه الله: "قالت طائفة ليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلؤي، وهذا قول كثير من الحنفية. وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة. وقال آخرون ليس لأحد أن يختار بعد الأوزاعي وسفيان الثوري ووكيع بن الجراح وعبدالله بن المبارك. وقالت طائفة ليس

لأحد أن يختار بعد الشافعي". وبالجملة فلعل الأدق أن القول بسد باب الاجتهاد إنما كان في أواخر القرن الرابع الهجري لا بعده، ولا أواسطه، ولا في بدايته، وإن قال بكل زمن من تلك الأزمان بعض العلماء، وذلك نظرا إلى أن بانقضاء القرن الرابع انقضى عصر أئمة المذاهب".

[55]- جمال الدين الشيال: الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي، صدر هذا الكتاب عام 1957م، صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي 2017/01/26م، ج1، ص 11.

[56]- البروفيسور المغربي منصف السلاوي تم تكليفه من طرف رئيس أمريكا للقيام بالتنسيق بين مختلف الجهات المكلفة بالتحضير لإنتاج لقاح ضد فيروس كورونا لخبرته الفائقة في إنتاج اللقاحات، وله شواهد وبراءة اكتشاف في العديد منها. كما أن هناك العديد من الأطر الطبية في العديد من دول الغرب، حتى أن رئيس فرنسا لما زار أكبر مستشفيات فرنسا في ظل الجائحة تفاجأ من كون كلها أطرا عربية، منشور بموقع الحرة، بتاريخ 11 أبريل 2020م، تمت الاستفادة منه بتاريخ 2022/01/05م.

[57]- الطاهر ابن عاشور: المقدمة الرابعة لتفسير التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر، سنة 1969م، الجزء الأول، الكتاب الأول، ص 38.

[58]- مالك بن نبي: مجلة المعرفة التونسية وصية مالك بن نبي، عدد 8، السنة الثانية، 1395ه، 1975م، (ص ص19-31).

[59]- أخرجه الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405ه): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1422ه، 2002م، في كتاب الفتن والملاحم، باب أما حديث أبي عوانة، حديث بدون رقم، 582/4، وصحَّحه الذهبي في تلخيصه على المستدرك، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، مكتبة المعارف، 1415ه، 1995م، ح106، 216/1.

[60]- إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774ه): تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419ه، 1998م، 71/6.

[61]- ـ قد لا يكون لهذا 'الأمن' المنشود أية علاقة بالأمن الذي خصه الله تعالى بسكان بيته: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)﴾ [قريش]، ويا ليتهم ينتبهون لهذه الآية، فيا حسرة على العباد...

[62]- إن إيراد هذه الآية في هذه السورة كفيل بالتنبيه على ضرورة التيقظ.

[63]- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، طبعة 1423ه، 2002م، ص83.

[64]- توقف الباحث عن استعمال مصطلح التغيير، مستعيضا عنه بمصطلح التحول، حيث بعد التتبع لمصطلح التغيير في القرآن تبين أنه هو التحول من الحسن إلى السيء.

[65]- إنه مفهوم واحد: هو مفهوم 'الرشاد'، فهمه فرعون من خلال خلفيته الفكرية ومرجعيته الدينية، فأسس عليه من خلال ذلك قيما يريد إشاعتنا بين شعبه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39)﴾[غافر]؛ في حين أن مؤمن آل فرعون، في نفس السورة، قد فهمه بدلالة أخرى، وهي الصحيحة، وعليه أسس قيما يريد أن يشيعها بين المؤمنين بدعوته، ودعوة موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29)﴾ [غافر]؛ فهو مفهوم واحد ولكن تأويله يقود لتبني قيم مختلفة.

[66]- مالك بن نبي (ت1393ه): ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ودمشق، الطبعة الثالثة، 1406ه، 1986م، 35/1.

[67]- مالك بن نبي: فكرة كومنويلث إسلامي، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، 1421ه، 2000م، ص 53.

[68]- لا تنبت شجرة الأركان إلا في المغرب، وفي منطقة خاصة من المغرب.